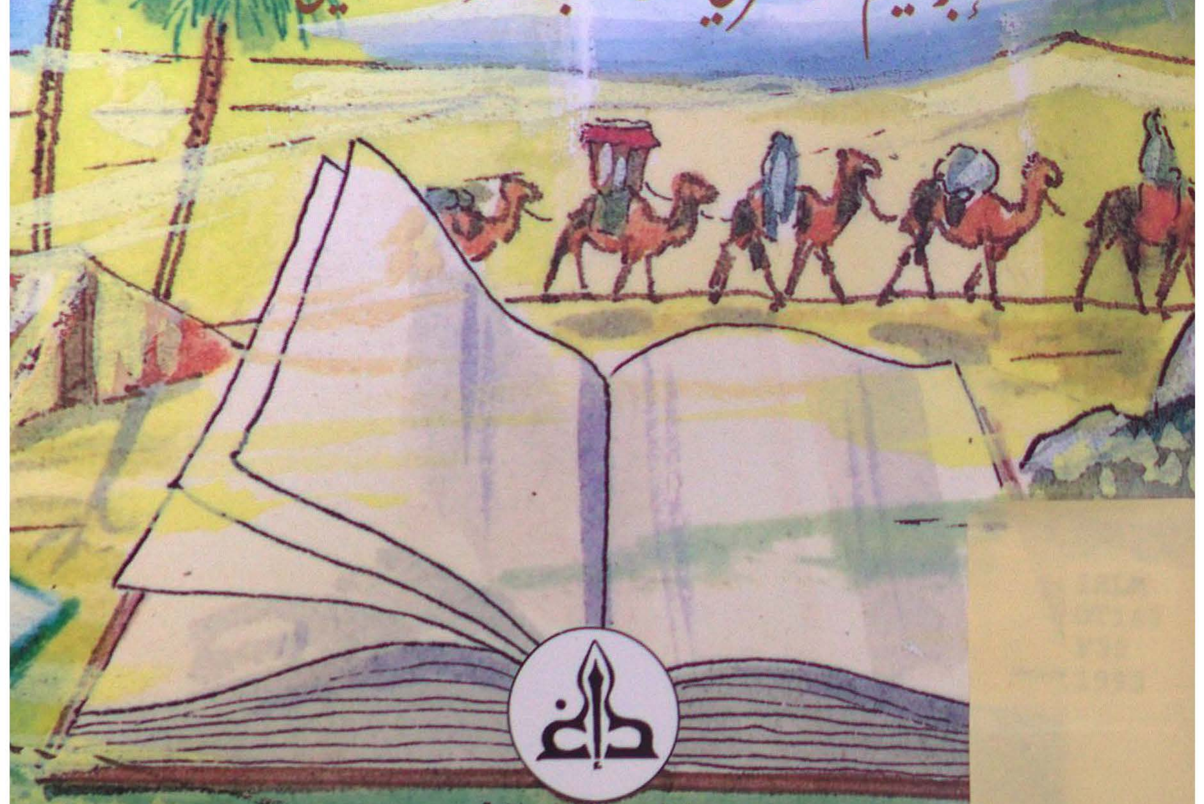
رحلة ابن عابد الفاسي

«من المغرب إلى حضرموت»

للشريف يوسف بن عابد بن محمّد
الحسني الفاسي المغربي

حقّق نصّها وقدّم لها وعلّق عليها

إبراهيم السّامرائي و عبد الله محمد الحبشي



دار الغرب الإسلامي

رحلة ابن عابد الفاسي

"من المغرب الى حضرموت"

للشريف يوسف بن عابد بن محمد
الحسني الفاسي المغربي

حقق نصها وقدم لها
وعلق عليها

ابراهيم السامرائي و عبد الله محمد الحبشي

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى
1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه رحلة الهجرة المباركة وصاحبها الشريف يوسف بن عابد بن محمد بن عمر الحسيني المغربي المولود في فاس من حواضر المغرب الأقصى، وقد عرف بالفاسي الأدريسي المالكي.

وشهرته بالفاسي تجعله مع جمهرة المنسوبين إلى فـاس مولداً وسكناً، فقد عرفت هذه الحاضرة بكونها من مراكز العلم طوال العصور الإسلامية.

وهو، من الأشراف الحسـنيين ولد سنة 965 هجرية وتوفي سنة 1048 هـ، فهو من رجال القرنين العاشر والحادي عشر.

وليس بي حاجة كبيرة إلى التعريف بهذا المؤلف صاحب الرحلة فقد أغناني عن هذا بما ذكره من ترجمة سيرته في هذه «الرحلة»، وما كان له من العلم الذي أخذه عن جملة صالحة من شيوخه ورد بعضهم في هذه «الرحلة» كما ورد الكثير منهم في كتاب له وسمه بـ«الدرر الفاخرة في أعيان علماء الآخرة» الذي قال في فاتحته أحد تلاميذه وهو الشيخ جابر بن علي ... بن موسى الجبني المذحجي الكهلاني:

هذه رسالة أملى بها عليّ سيدي وشيخي الإمام الكبير العالم العلامة الحجّة الشريف جمـال الدين أبـو المحاسن يـوسف بن عابـد بن محمد بن عمر.... ابن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عن الجميع ـ ببلد الحزمة في صباح يوم الاثنين في 18 من جمادى الآخرة سنة 1048 هجرية.... في منزله. ذكر فيها من لقيه بالأمصار من أعيان علماء الآخرة، وحصل له منهم مجالسات ومذاكرات، فيقول ـ رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وأسراره آمين:

أما بعد فهذه رسالة في ذكر سادات أهل الآخرة من رجال الله الذين تلقّيت عنهم ولقيتهم في بلاد المغرب والحجاز واليمن وحضرموت مذ خرجت من فاس وأنا ابن عشرين سنة أطوف على مشايخ العلم والطريق.

وقد طلب منّي الفقيه الراغب جابر بن علي الجبني المذحجي، أحد قرابة أهلي بالحزمة أن أجمع له أسماءهم وذكر أحوالهم وأخبارهم، فسنحت لي هذه الفرصة، فأمليت عليه هذه الحصة وعلى اختصارها سمّيتها «الدرر الفاخرة في من لقيته من علماء الآخرة».

أقول: وقد بدأ صاحب الرحلة بترجمة سيرته هو قبل أن يبدأ الكلام على شيوخه، وقد ترجم نفسه، كما أشرت، في «رحلته»، وسيقف الدارسون عليها وهم يفيدون منها.

وأعود إلى «الدرر الفاخرة» فأتابع المؤلف لأعرف شيئاً من سيرته التي جاء فيها:

«. . . وأدركت والدي عشر سنين، وقد قرأت عليه القرآن العظيم، وحفظت المتون والرسائل في الفقه والأصول على مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ ولما مات والدي قامت بتربيتي والدتي منصورة بنت عبد الله بن عمر بن عيسى بن الشيخ أبي الوكيل، فنشأت أطلب العلم مدّة حياتي أتردّد على مشايخ فاس. وبدأت بالرحلة إلى المراكش وطنجة وفاس وتونس والقيروان وبلاد المغرب أطوّف على مشايخ الوقت أطلب الفتح، وكل واحد يقول لي: لست أنا شيخك، وإن شيخك بالمشرق، حتى دلّني السيد أبو الحسن البكري على الشيخ أبي بكر بن سالم القاطن بقرية عينات من قُرى حضرموت ببلاد اليمن وخرجت أولاً من بلادي، وأنا ابن العشرين من عمري».

أقول: وقول المؤلف هذا يدل على أن السبب الأول من القيام بالرحلة هو طلب العلم خلافاً لكثير من أهل المغرب من الرحالة الذين حفزهم إلى التطواف أداء فريضة الحج، ومن ثمّ يطوفون في رحلتهم إلى البيت الحرام في البلدان التي يمرون بها، ثم بعد أداء الحج يتخذون طريقاً آخر فيرون اليمن وما حواليها

فالعراق فبلاد الشام، وربما انتشروا من بعض هذه البلدان إلى فارس وبلاد الروم وغيرها، وهكذا تمت لكثير منهم رحلته.

وقد اندفع نفر منهم إلى الشرق الأقصى فعرفوا الهند والصين، وما يتصل بهذه الديار[1].

وأعود إلى صاحب «الرحلة» ليحدثنا عن شيوخه وأراني مضطراً أن آتي على طرف من سيرته الذي تضمنته «السيرة» التى عرض لها في «الرحلة»، قال المؤلف:

«خرجت من الغيضة» يوم الأحد في ثامن [كذا] والعشرين من شهر صفر الخير سنة 991 هجرية[2] بعد صلاة الفجر مع القافلة التي تتوجّه إلى تونس الخضراء، فمررت ببلدان كثيرة. وتلقّاني جماعة من قبائل زناتة منهم أولاد العيّاط، وهم أصهار والدي، فإنّ والدي تزوّج على امرأة [كذا] منهم، اسمها فاطمة بنت أحمد .... ابن عقبة العيّاط الزناتي، فولدت له موسى وعلي ومحمد و .... فهؤلاء إخواني من الأب.

مات والدي سنة 975 وأنا ابن العاشر [كذا]... وقد دخلت فاس ومكناسة ومراكش واجتمعت بسلطانها مولاي إسماعيل بن علي العلوي، وكان من صالحي السلاطين، يحبّ العلم والعلماء، فجالسته وتذاكرت معه.

ودخلت مدينة سبتة، ولقيت جماعة من العلماء منهم سيدي طاهر بن علي بن عبد الله السبتي الحسني، وقرأت عليه متن «السنوسيّة»، و«رسالة» أبي زيد القيرواني، و«متن» الإمام سيدي ميّارة، وأجازني إجازة عامّة بجميع فرديّاته.

---

(1) على أن صاحب «رحلتنا» قد كان غير هؤلاء، إذ كان من قصده أن يذهب إلى اليمن ليأخذ العلم عن شيوخها كا حدّثنا هو في الكلام على «سيرته» في «الرحلة» وفي «الدرر الفاخرة» وأنه قصد مصر والحجاز ثم توجه بعد ذلك إلى اليمن التي كان قد اعتزم أن يطلب العلم فيها.

(2) وهذه إشارة إلى تاريخ بدء «الرحلة».

ثم لقيت بمراكش أحمد بن العلاء المكناسي الموقّتي، وكان إمام الحضرة السلطانية وأحد أعيان مراكش، أجازني في «الأوفاق» و«الطلاسم» وبعض الأوراد.

ثم لقيت أبا طاهر عبد الله بن عبد الجليل الحارثي من مشايخ المكناس، وأفدت على يده الطريق بإسناده إلى أبي مدين شعيب بن محمد الأمصاري السعدي بسنده إلى أبي القاسم الجنيد بن محمد القواريري، وهو سند مشهور عند المغاربة، وأجازني أيضاً بقراءة (ورد) سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني صباحاً ومساءً، و«ورد» سيدي محمد الفاسي الكبير. ثم ناولني خرقة الشاذليّ، وأمرني أن أقرأ عليه كتاب «المفاخر العلية» للشاذلي، و«الحكم» لابن عطاء الله السكندري، و«رسالة التصوّف» لأبي العباس أحمد المرسي، فانتفعت به أكثر....

وأما من لقيت بفاس جماعة منهم سيدي أبو المحاسن يوسف بن محمد بن أبي الحجاج يوسف بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي بكر الحفيد الجديّ [كذا] الفهري المتوفى سنة 998 هجرية من ذرية الأمير عقبة بن نافع الفهريّ فاتح القيروان وإفريقية، كان من سلالة قوم ظهروا بالعلم والصلاح، نَزَح جدّهم الأعلى من بلاد الأندلس وكان أبو المحاسن صالحاً جليلاً تقيّاً.

دخلت عليه وسلّمت عليه فردّ علي فقال: وعليك السلام يا يوسف، فكاشفَ في اسمي قبل أن أعرفه، وليس لي أدنى مواصلات [كذا] معه، فجلست عنده أياماً قرأت عليه شيئاً من كتب القوم، وأجازني فيها وانتفعت به كثيراً.

ثم سيدي أبو مروان عبد الملك بن جابر بن عمران الهشتوكي، من مشايخ المغرب، من حفّاظ القرآن وكبار المفسرين ببلده، سمعت منه قراءة نافع وعاصم في سورة آل عمران بقراءة بعض تلامذته. وناولني كتاب «التفسير» لأبي سعيد الداني، و«المكرّر» له، فقال لي: يا شريف، أراك مقبلاً على الطريق فهذا كتاب الله خير لك، فاقرأه بالقراءات السبع المتواترة، أنفع لك كثيراً.

ثم خديجة بنت أحمد بن حميدة بن خليل الطرابلسية، إحدى الصالحات القانتات، كان أبوها من أعيان «الطرابلس» [كذا]، تحوّل إلى فاس بأهله، فولدت خديجة بفاس، كانت عارفة بالقراءات والفقه. قرأت على أبيها وعلى سيدي عربي بن حمدان الفاسي، ثم اعتكفت على «المطالية»، ثم أقبلت على القيادة [كذا][1]، وبنى لها ابن أخيها زاوية تلازم فيها ليلاً ونهاراً، تقوم الليل وتصوم النهار حتى طار ذكرها في الآفاق وقصدها الناس للزيارة. وكانت دعواتها مستجابة، فسرت إليها فطلبت منها الدعوة الصالحة، فدعت لي، فسألتها عن دخولي في الطريق، فأشارت بي إلى الشيخ باليمن، فقالت لي: أنت مقفول [كذا]، عليك بالمغرب والمفتاح بيد فلان باليمن. واعتقد قولها «فلان باليمن» وهو سيدي الشيخ أبو بكر بن سالم لوجود الكثير من الأولياء من أشاروا إليّ به.

ولقيت أيضاً أبا القاسم محمد بن علّوش بن القاسم بن جبر الخشني. توفي هذا الشيخ بعد الألف، وكان من ذرية أبي ثعلبة الخشني الصحابي ـ رضي الله عنه ـ قدم جدّه القاسم بن جبر من قرطبة إلى فاس، وتزوّج فيها. وكان من الأولياء فطلبت منه الدعاء، فدعا لي بالخير وأخبرته بأني أريد مصراً [كذا] والحجاز، فقال لي: أوصيك بالتقوى وحسن المرافقة.... وأنه سيتلقاك بمصر أبو الحسن البكري فاطلب لي الدعاء. وأرى على جبهتك نوراً شعاعه من بلاد اليمن...

ولقيت أبا محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الجمّام الزرهوني المالكي المتوفي بفاس سنة 1002 هجرية... لازمته أياماً فأخذت عنه وانتفعت به، فأجازني إجازة (الأسمر) [كذا]، وكتاب «أخبار أبي الحسن الشاذلي» الكبير، وكتاب «قراعد التصوف»، وأطلعني ببعضها.

أقول: ويمضي المؤلف في ذكر الشيوخ الذين أفاد منهم في فاس، والشيوخ الذين لقيهم في الجزائر فتونس فمصر فالحجاز.

ونخلص من هذا إلى أن أدواته قد اكتملت في علوم العربية وعلوم القرآن

(1) لعله أراد «الإفادة».

والحديث والفقه والأصول والتصوف وغيرها من علوم الجادّة في ذلك العصر، وحصل على إجازات كثيرة من الشيوخ الذين لقيهم بمروياتهم وما صنفوه من المصنّفات.

الرحلة:

وحديث الرحلة يطول فصاحبها من أهل العلم وأخبار أهل العلم من العلماء والفقهاء والزهّاد والأولياء مبثوثة فيها.

ثم أن للرحلة حواشي لا بد لصاحبها أن يعرض لها تتصل بشؤون البلاد والعباد ممن ساكنهم وعاش بين ظهرانيهم.

وجملة القول: إن كتب الرحلات تشتمل فيما تشتمل عليه من فوائد اجتماعية فوائد تاريخية تتصل بتاريخ العصور، فرحلتنا هذه قد بدأت في أواخر القرن العاشر واستمرت أكثر من عشرين سنة فلا بد أن تكون معيناً للدرس التاريخي في هذه الحقبة.

ومما يجب ذكره أن أصل هذا الكتاب نسخة وحيدة حضرمية من خزانة حفيد المؤلف. مع الاستعانة بنسختين أخريين إحداهما مصورة عن مكتبة الأحقاف بحضرموت صورتها بعثة الجامعة العربية بالكويت وتفضل مشكوراً بإهداء مصورتها إلينا الدكتور يوسف عبد الله الغنيم والنسخة الثالثة مأخوذة من مكتبة ببلاد جاوا من جزر الهند الشرقية.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ عبدالله يحيى السريحي لمعاونته لنا في مراجعة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد... فهذا ملتقط من الكتاب المسمّى بالرّحلة لسيدنا الإمام الحبيب[1] العارف بالله يوسف بن عابد نفعنا الله به وبعلومه آمين[2]، قال السيد يوسف بن عابد الإدريسي نسباً الفاسيُّ وطنا عمر الله بوجوده معالم الدين وأحيا بعلومه المفيدة سنّة جده سيد المرسلين. قال الإمام المنصور بالله[3] بعدما ذكر قيام يحيى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن[4] أخي الإمام إدريس[5] في أيام هارون الرشيد ما هذا لفظه[6].

(1) الحبيب لقب يطلق في بلاد حضرموت على السادة الأشراف.

(2) هذه الديباجة ساقطة من (هـ) وهي من عند النساخ.

(3) هو الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة من أئمة اليمن وفاته سنة 614 دعا إلى الله وتولى الحكم سنة 583 وكان من العلماء له مؤلفات كثيرة؛ أنظر حوله كتابنا: مصادر الفكر الإسلامي 592 ـ وفيه مصادره ومؤلّفاته.

(4) في (ت) الحسين وأصلحه في (م) وهو الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن علي بن أبي طالب حضر معركة فخ سنة 169 ودعا لنفسه فبايعه من أهل الحرمين ومصر واليمن ودخل العراق متنكر واشتد طلب هارون الرشيد وأحربه في بلاد الديلم حتى ظفر به فحبسه حتى مات نحو سنة 180 أنظر أخباره في مقاتل الطالبيين 308 والمصابيح (خ) والإفادة في تاريخ الأئمة السادة (خ) والشافي 228/1. وأنظر أخبار أئمة الزيدية في طبرستان 55 ـ 70 و 79 ـ 84

(5) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب وفاته سنة 177 أنظر الأعلام 279/1 وكتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للعلامة محمد بن علي السنوسي ص 56 ـ 75.

(6) هذا النقل من كتاب الشافي للإمام عبد الله بن حمزة 237/1.

وقد كان إدريس خرج إلى المغرب داعياً لأخيه يحيى بن عبد الله، فلما صح له ما كان له من أمر يحيى بن عبد الله دعا إلى نفسه، وكان في نهاية العلوم[4] والورع تلو إخوته في الفضل والزّهد والسّخا والشجاعة والكرم، وكان حليف القرآن حسن القراءة صيتاً شجياً[2]، ولما دعا في المغرب عرفه رجال من أهل المغرب فحج[3] سنة إلى النبي عليه السلام[3] قالوا: نعم هذا إدريس رأيناه يقاتل، وقد أصبغ[4] قميصه دماً، فقلنا: من هذا فقيل هذا إدريس بن عبد الله، فلما عرفه من عرفه،[5] وكان هرون قد أمر بلحاقه إلى مصر لما [عـ][6] لم بتقدمه[7] إلى المغرب، وبذل ثلاثين ألف دينار لمن يغالبه[8]، أو يرده يعطيه خمسة عشر ألفاً أولاً، ويعد[9] له خمسة عشر لقضاء الحاجة أو رجوعه، فلحقوه إلى مصر، وكان واليها [يتدين فجاء إليه من][10] أعلمه بمكانه، فقال: هذا كذاب لا شك في ذلك[11] فصار يأمر [إلى القوّاد والأجناد][12] وغرضه التثبط[13] حتى بلغ إلى إدريس ففارق المكان ونجا، فلما انتهى الحال إلى ما ذكرناه أولاً[14] دعا إلى

(1) الشافي: العلم.

(2) الشافي: حسن القراءة شجيها.

(3) كذا في سائر النسخ وفي الشافي: ولما دعا في المغرب عرفه رجال من المغرب حجوا سنة قتل الفخى قالوا: نعم هذا إدريس إلخ.

(4) الشافي انصبغ.

(5) في الشافي فلما شهد له من عرفه.

(6) ساقط من الأصول وأضفناه من الشافي.

(7) في الأصول يتقدمه والإصلاح من الشافي.

(8) كذا في الأصول وصوا به ما في الشافي «يغتاله».

(9) الشافي: ويعدل له.

(10) في الأصول: وكان واليها يبدي من أعلمه وأصلحناه من الشافي.

(11) الشافي: قال هذا كذب قال لا شك في ذلك.

(12) بياض في الأصول.

(13) في الأصول وعرض له الشيخ والإصلاح من الشافي.

(14) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر شيئاً من دعوة إدريس وإنما جاء ذلك في الأصل الذي ينقل عنه وهو الشافي.

أمره [1] وأنفذ دعوته وهي بسم الله الرحمن الرحيم رواية السيد أبي العباس الحسني [2] رحمه الله تعالى عن أبي عبد الله أحمد بن سهل الرازي [3] عن الحسن بن عبد الواحد [4] الكوفي، عن محمد بن علي بن إبراهيم، عن [5] بكر بن صالح الرازي عن عبد الله بن محمَّد بن الحسن [6] بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب [وروى عن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب] [7] ما مثاله:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن بعد [8] عنه، ولا إله إلا الله المنفرد بالوحدانية، الدَّال على ذلك بما ظهر من عجيب حكمته ولطف تدبيره، الذي لا يدرك إلاّ أعلامه، وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه انتخبه [9] واصطفاه واختاره وارتضاه، صلوات الله، وسلامه عليه وعلى آله الطّيبين، أما بعد فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ودفع المظالم والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة وإماتة [10] البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد، واذكروا الله في ملوك غيروا، وللأمانة [11] خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا وولد نبيّه قتلوا، وأذكركم الله [في

---

(1) الشافي: نفسه.

(2) هو صاحب كتاب المصابيح الذي ينقل عنه الإمام عبد الله بن حمزة هنا وهو أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني من علماء الزيدية.

(3) في الأصول الراوي والإصلاح من الشافي.

(4) في (م) عبد الله الواحد وفي (هـ) عبد الله وكذا في (ت) والإصلاح من الشافي.

(5) في الأصول بن والإصلاح من الشافي.

(6) ساقط من الشافي.

(7) ساقط من الأصول والزّيادة من الشافي.

(8) مطبوعة الشافي (عند) خطأ.

(9) مطبوعة الشافي (انتجبه) خطأ.

(10) مطبوعة الشافي (إمامة) خطأ.

(11) في الشافي (الأمان).

الأرامل اختفرت وحدود عطلت] [1] وفي دماء بغير حق سفكت، فقد نبذوا الكتاب والإسلام، ولم يبق من الإسلام والقرآن إلا رسمه[2]، واعلموا عباد الله أن ممّا أوجب الله تعالى على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد واللسان، فباللسان الدّعا إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة والحظّ على طاعة الله تعالى والتوبة عن الذنوب وهي الإنابة والإقلاع والنزوع عمّا يكره الله تعالى والتّواصي بالحق والصّدق والصبر والرحمة والرفق والتناهي عن معاصي الله كلها والتعليم، والتقديم لمن استجاب الله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل وتجتمع كلمتهم وتنتظم ألفتهم، وإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعاً وللظالمين مقاوماً، وعلى البغي والعدوان قاهراً، أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربّهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حَرَّم الله عليهم وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها [فإن][3] في [معصية الله][4] تلفاً لمن ارتكبها، وهلاكاً لمن عمل بها، ولا يؤسيكم من علوا الحق وإظهاره قلة أنصاره، فإن في البداية التي وجدها[5] النبي ﷺ والأنبياء الراغبين إلى[6] الله قبله وتكثيره إياهم بعد القلة وإعزازهم بعد الذلة، دليل بيِّن وبرهان واضح قال الله عز وجل ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[7] وقال تعالى ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[8] فنصر الله نبيّه وكثّر جنده، وأظهر حزبه وأنجز وعده، جزاءً من الله سبحانه وثواباً لفضله وإيثاره طاعة ربه، ورأفته بعباده ورحمته، وحسن قيامه بالعَدْل والقسط في برّيته ومجاهدة أعدائه، وزهده فيما زهده فيه، ورغبته فيما ندبه إليه، ومواساة أصحابه وسعة أخلاقه، كما أدّبه الله وأمره، وأمر العباد باتباعه

(1) بياض في سائر المخطوطات أكملناه من الشافي.
(2) في الشافي «ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلاّ رسمه».
(3) ساقط من الأصول.
(4) ساقط من الأصول.
(5) كذا في الأصول وفي الشافي «فإن فيما بدء به من وحدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم».
(6) في الأصول (في)
(7) سورة آل عمران، الآية: 123.
(8) سورة الحج، الآية 40.

وسلوك سبيله والاقتداء بهدايته واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم، كما قال سبحانه وتعالى ﴿إن تنصرو الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1] وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2] وقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾[3] وكما مدحهم، وأثنى عليهم إذ يقول ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[4] وقال عز وجل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[5] وفرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه، قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق﴾[6] وفرض قتال المعاندين عن الحق والمعتدين عليه على من[7] آمن به وصدق بكتابه حتى يعود إليه وَيفي كما فرض قتال من كفر به وصدّ عنه حتى يؤمن به ويعترف بدينه وشرائعه، فقال تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾[8] الآية فهذا عهد الله إليكم وميثاقه عليكم بالتّعاون على البرّ والتقوى ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ فرضاً من الله واجباً وحكماً لازماً، فأين عن الله تذهبون، وأنّى تؤفكون وقد خانت[9] الجبابرة في الآفاق شرقاً وغرباً، وظهر[10] الفساد، وامتلأت الأرض ظلماً وجوراً، فليس للنّاس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر

(1) سورة محمد، الآية: 7.

(2) سورة المائدة، الآية: 2.

(3) سورة النحل، الآية: 90.

(4) سورة آل عمران، الآية: 110.

(5) سورة التوبة، الآية: 71.

(6) سورة التوبة، الآية: 29.

(7) في الأصول ممن آمن به والإصلاح من الشافي.

(8) سورة الحجرات، الآية: 9.

(9) في الشافي جابت.

(10) الشافي: اظهروا.

إخواننا من البربر اليد[1] الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة القائمة بحقوق المظلومين من ذرية النبيين، فكونوا عباد الله بمنزلة من جاهد مع النبيِّين [ونصر الله مع النبيين][2] واعلموا معاشر الإخوان[3] إني أتيتكم وأنا المظلوم الملهوف الطَّريد الشريد الخائف المأثور[4] الذي كثر واتره، وقل ناصره وقتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه فأجيبوا داعي الله، فقد دعاكم إلى الله فإن الله عز وجل يقول ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾[5] أعاذنا الله وإياكم من الضَّلال وهدانا وإيّاكم سبيل الرشاد، وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [عمّ رسول الله ﷺ][6] وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه جدّي[7] وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة[5] عمّاي وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جَدَّتاي[9] وفاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وفاطمة بنت الحسين سَيِّدة ذراري النبيين أماي، والحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزاكي أخواي.

فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما عليَّ ومن أبى فحظه أخطأ[10] وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة إني لم أسفك دماً، ولا استحللت محرّماً ولا مالاً، واستشهدُك يا خير[11] الشاهدين وأستشهد جبريل

---

(1) في الأصل البررة واليد الحاصدة وما أوردناه في الشافي.
(2) ساقط من الأصول.
(3) في الشافي «البربر».
(4) الشافي: الموتور.
(5) سورة الأحقاف، الآية: 32.
(6) زيادة على الشافي.
(7) في الشافي جدّاي.
(8) في الأصول عمي.
(9) في الأصول جداتي.
(10) في الأصول: الخطا وسرى ذلك من عالم الشهادة.
(11) في الشافي: يا أكبر.

وميكائيل إني أول من أجاب وأناب [فلبيّـك الله مجرى[1] السحـاب وهادم الأحزاب مصيّر الجبال سراباً بعد أن كانت صماً صلاباً أسألك النصر لولد نبيك][2] إنك على ذلك قادر والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[3].

فهذه دعوة إدريس عليه السَّلام، وكانت له محاربات جمّة ظهر فيها[4] على الجنود العباسية، فروي محمد بن جرير[5] أن هارون لما بلغه من عامله بإفريقية[6] ظهور إدريس وقوة جانبه قلق حتى هابت حاشيته جانبه، واجتنبوا كلامه خوفاً من سَطْوته، فجاء يحيى بن خالد، فأخبروه فجاء من تلقاء رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين مالي أراك كئيباً فإن كان لحدث أو فتق، فلم يزل ذلك يقع على الملوك ثم تؤول الأمور إلى المحبوب، وإن كان لأمر تفديك فيه نفوسنا وأموالنا فهي لك الفدا، وإن كان لأمر لا تفي به نفوسنا ولا أموالنا فنسأل الله كفايته، فقال إن عاملي بإفريقية[7] كتب إلي كتاباً ألطف إلي في كتابه، وقص قصة إدريس، وقد علمت ما بيني وبين هذه الطالبية، والله ما هو إلاّ ظهورهم وكان الفنا، قال: ليطيب عيش أمير المؤمنين، فإني أكفيه أمر إدريس، ولا يعرف هلاكه إلاّ منّي، فطابت نفس هرون، فاستعمل سَمّاً وأمر به قيل مع سليمان بن جرير، وقيل مع رجل [أمره][8] يتزيا بزي اليهود إذا صار في المغرب، وقيل مع مزيّن، وعلى اختلاف الرّوايات قد صحّ سمه عليه السَّلام وافتخر شاعر العباسية بذلك فقال شعراً:

أتـظن يآ إدريس أنـك مفلت　　كيـد الخلافة أو يقيـك فرار

---

(1)) الشافي: مزجي.
(2)) ساقط من (ت).
(3)) في الأصول طرفها والإصلاح من الشافي.
(4)) في الأصول الفريقية والإصلاح من الشافي.
(5) ابن حرير الطبري194:8.
(6) في الأصول تولى الأمر.
(7) في الأصول الفريقية.
(8) زيادة من الشافي.

فهذه صفة آل بيت رسول الله ﷺ الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، والأولى صفة الجبارين الظالمين، وقد روينا عن النبي ﷺ وعلى آله محمَّد خير البشر فمن آذاني[1] فقد كفر، وروينا بالإسناد عن النبي ﷺ ليس أحد من الخلايق يفضل على أهل بيتي غيري، فهذا يراد[2] المطهرين عن الرجس المفضلين على جميع الأنس، فمن ذا يساوي الزبد[3] بما ينفع الناس، فنسأل الله سبحانه وتعالى توفيقاً يغمر قلوبنا، وعفواً يدحض[4] ذنوبنا، وبصيرة[5] نعلم بها رشدنا، وبرهاناً ندفع به ضدنا ويقيناً يمنعنا من طلب ما لا يدوم لنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى ما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بحروفه وترجمته رضي الله عنه[6].

وذكر الإمام الحسين بن محمد[7] المذكور ما كيفيته في مقدمة رسالة الإمام إدريس المذكور وقصدنا بذلك إتحاف ولده العالم الفاضل قدوة الأفاضل وعمدة الأفاضل العلماء من أهل البيت الأماثل يوسف بن عابد الإدريسي نسباً الفاسي وطناً عمر الله بوجوده معالم الدِّين وأحيا بعلومه المفيدة سنّة جده سيد المرسلين.

وذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في سبب نقلة الإمام إدريس بن عبد الله إلى المغرب، وكان من أمره ما ذكره الإمام المنصور بالله، ولم يذكر الإمام الحسين بن محمد المذكور تاريخ وفاة الإمام إدريس بالمغرب، فما دريت بمن تعرض لتلك السنة التي مات فيها[8] ولا في أي مكان أستشهد فيه، لكني

(1) في الشافي: أبي.

(2) في الشافي: فهذا إنما أراد.

(3) في الأصول الذي ينفع الناس.

(4) في الشافي يرحض.

(5) في الأصول نصرة.

(6) أنظر الشافي 237/1 ـ 240 (ط) الأعلمي سنة 1406.

(7) لم يسبق ذكره من قبل وفي الجملة اضطراب.

(8) قلت: في كتاب الدرر السنية 64/ بعد ذكر بعث سليمان بن جرير بقصد سم الامام ادريس «وأقام مولانا إدريس في غشيته إلى آخر النهار وتوفي رحمة الله عليه وكانت وفاته في مفتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة».

أحببت أن أستدرك ذلك في غير ما ذكره الإمام المنصور بن عبد الله بن حمزة من كتاب «الدول المنقطعة والعواري المرتجعة»[1] وكان ظهور الإمام الحسين بن علي بن الحسن[2] المثلث المقتول في فخ[3] في العشر الأواخر في ذي القعدة في سنة سبع وستين[4] ومائة - وأتى بكلام - إلى أن قال في أخبار الإمام إدْريس مما يتعلق ويرادف ما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله المذكور أولاً: وكان وفاة الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلطان المغرب في سنة سبع وسبعين ومائة.

قال: وكان وفاة الإمام إدريس بن إدريس[5] في سنة أربع عشر ومائتين وقبرهما بطليحة من أعمال المغرب[6] وهو جد الأدارسة إلى إدريس المثنى الذي وضعت المغاربة التاج على بطن أمه قبل أن يولد، وذلك بإشارة من أبيه إدريس الأكبر لأرباب دولته حين آيس[7] من حياته انتهى ما لخّصناه من كتاب «الدول[8] المنقطعة» المذكور[9].

وقد ذكرنا كثيراً من كتب التّواريخ فيما اعتنيت به في آخر «جواباتنا المنيفة على ما تضمنته السؤالات العنيفة» وسبب ما ذكرناه في آخر الجوابات المذكورة إني سمعت من بعض النّاس يقولون: أن الحسن ما له عقب إلاّ بنت، فلهذا

(1) أنظر أخبار الدّول المنقطعة لعلي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة 613: 123 بتحقيق محمد بن مفرط، المدينة المنورة سنة 1408.

(2) في الأصول الحسين بن علي بن الحسين والإصلاح من عندنا أنظر أخباره في مقاتل الطالبيين 288 - 308 وابن خلدون 215/3 والإعلام /244.

(3) في الأصول (فج) وهو فج من فجاج مكة بينه وبين مكة ثلاثة أميال (أنظر الروض المعطار 436).

(4) كذا في الأصول وفي الإعلام حقق وفاته سنة 169.

(5) أنظر ترجمته في: الاستقصاء 70/1 وابن خلدون 13/4 والبيان المغرب 103/1 والدرر السنية: 76 - 97 والإعلام 278/1.

(6) في الإعلام وفاته سنة 213 بفاس.

(7) يئس.

(8) في الأصول (الدولة).

(9) في الأصول (المذكورة).

أذكر نسبتي إلى الحسن السِّبط، ونقلت من تواريخ العلماء من علماء الأشراف وغيرهم من علماء الأمة رضي الله عنهم، والآن أيضاً أذكر نسبي هنا إلى الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى.

وأنا يوسف بن عابد بن محمد بن عمر بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن عيسى بن الشيخ أبي الوكيل ميمون، وقيل مسعود بن موسى بن عيسى بن عزّوز (بزاءين الأولى مشدّدة منهما) بن عبد العزيز بن علال (بتَشْديد اللاَّم) بن جابر بن عياد (بالياء المشدّدة المثناة من تحت وبالدَّال المهملة قبلها ألف) بن القاسم بن أحمد بن محمد بن الإمام إدريس المثنًى بن الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله المحض (ويقال له أيضاً الكامل) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ونفعنا به وبهؤلاء المذكورين من آبائنا وأصحابهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهذه نسبتي إلى الإمام إدريس ذكرتها لا أريد بذكرها جلب جاه، ولا غيره بل ذكرتها احتساباً لله لئلا يدخل آحاد الناس في أعراضنا بجهلهم بنسبتنا، ولا يجوز لنا كتمها من غير سبب من الأسباب الذي يعذر به الإنسان عند كَتْمه[1] نسبه بل الإنسان على نفسه بصيرة، بعدما طرق سمعي مما ذكروه أهل الاعتناء بالأنساب كقوله عليه السَّلام «لعن الله الداخل فينا بغير نسب والخارج منا بغير سبب»[2] هذا الحديث مشهور والناس مصدقون في أنسابهم حتى يتبيَّن ما يناقض ذلك، وقد قيَّض الله تعالى للأشراف ومن تحرم عليه الزكاة من علماء الأمة من يقوم بتَصْحيح اتصالاتهم في كل زمان من يعتني بتفاصيل نسبهم من الأئمة خصوصاً من كان من الطَّالبين من ظهرت بركات الدَّعوة النبوية فيهم من نسل البتول الطَّاهرة وعلي المرتضى من بني السِّبطين وفروع الحسنين، فقبائلهم

(1) في (هـ) و (ت) كتمها.

(2) قال السَّخاوي: هذا الحديث بيَّض له شيخنا وله شواهده ثابتة أوردت الكثير منها في كتاب إستجلاب الغرق يقول العجلوني: ومن شواهده ما رواه البخاري يلفظ من أعظم الذنب أن يدعى الرجل إلى غير أبيه وفي رواية من أدعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام (أنظر كشف الخفاء والإلباس 186/2).

العاربة من عمّار الرّحيل متكاثرة وبيوتهم السّالمة من تطرق الغمرة إليها متواترة يأمر بها السلف عن الخلف، ولا يمترون فيمن خاف منهم نُسْبة الشّرف أنّ سيماهم في وجوههم لائحة ونفحات أرجه من عرفه فائحة ومن يقل المسك أين شذاه كذّبه في الحال من شمّه، هذا والاستفاضة يثبت بها النّسب المصون ومن انتسب إلى غير أبيه فهو ملعون، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من انتسب إلى غير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1]، والأحاديث المتضمنة للوعيد في هذا الباب كثيرة، وحجة المبطل داحضة لا تقبلها القلوب المنيرة، وقد روى أبو مصعب عن مالك رحمه الله من انتسب إلى النّبي ﷺ يعني كذباً يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويجس طويلاً حتى تظهر توبته لأنه استخفاف برسول الله ﷺ.

وقد ذكرنا ما ذكره الشيخ أحمد زروق والنّاس يصدقون على أنسابهم حتى يأتي ما يصرف][2] ذلك بيقين انتهى ونقلته بالمعنى الذي قبل هذا النّقل الذي ظهرت به بعدما كتبته بمعناه وتَصْديق ما قاله أحمد زروق[3] رحمه الله أنّ الناس لا يزالون يسألون النّاس عن أنسابهم فيقولون مثلاً من أي الناس أنت، فيقول: من قريش مثلاً، فيقال له: من أي قريش فيقول: من آل عبد مناف، فيقال من أيّ عبد مناف، فيقول: من بني هاشم، فيقول: من أي آل علي بن أبي طالب فيقول حسني مثلاً فيقال من أي الحسنين، فيقول من آل عبد الله الكامل، فيقال: من أي آل عبد الله الكامل، فيقول: من الأدارسة فيقول من أي الأدارسة فيقول من أولاد أبي الوكيل، فيقال: من أي أولاد أبي الوكيل، فيقول من أهل أنقاد[4]

(1) أنظر صحيح البخاري 156/4 والفتح الكبير 172/3.
(2) ساقط من (م) و(ت).
(3) هو العلاّمة أبو العباس احمد بن أحمد زروق من أهل فاس تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة وغلب عليه التصوف فتجرد وساح له مؤلفات من أشهرها القواعد في التصوف توفي سنة 899 (أنظر الأعلام 91/1).
(4) في الروض المعطار: أنكال قرية بأرض المغرب بقرب وادي أم ربيع ويقال لها دار المرابطين وبها عين ماء أنظر الروض المعطار 35 قال محققه وفي الإدريسي آنقال بالمدّ والقاف.

وأنقاد جهة ما بين مدينة فاس ومدينة تلمسان، وهي مشرق أنقاد، ومدينة فاس غربي أنقاد، فإذا قال من أي أرض في بلاد أنقاد فيقال من أهل الفيضة[1] وهي مكان مزارع لها وادي يسمّى وادي مطروح وهو العمدة في الأودية التي تسمى الفيضة، وهكذا في أنساب القبائل، وإذا قيل: من أي النّاس أنت فتقول مثلاً من قحطان، فيقال: من أي قحطان، فتقول من كهلان، فيقال من أي كَهْلان، فتقول: من مذحج أو من كندة أو من همدان، وهكذا النّاس مع قرائن صدق المخبر حتى يأتي ما يعرف ذلك بيقين، كما ذكر الخَزْرَجي[2] في الجزو الأول من تاريخه[3] قال الراوي سأل عبد الله بن أبي طاوس أبا حنيفة كيسان[4] وقيل ذكوان ممن أنت[5] فإنه بلغنا أنكم من همدان، قال: لا ولكن إلى [6] خولان، وكذا ذكره النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللُّغات[7] في ترجمة أبي حنيفة بإسناده عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة وأتى بنسبه إلى أن قال بإسناد عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن حماد بن النعمان يعني أبا حنيفة بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رق قطّ ولد جدي سنة ثمانين وذهب به ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك من علي بن أبي طالب فينا انتهى ما ذكره النووي، والخزرجي؛ قال الإنسان إذا سئل عن نسبه، وهو يعلم ذلك لا يجوز له أن

---

(1) في (هـ) الغيضة.

(2) يعني به المؤرخ اليمني علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي المتوفي سنة 812 أنظر كتابنا ومصادر الفكر الإسلامي /466.

(3) هو المسمّى بطراز أعلام الزّمن.

(4) كذا في الأصل وفي طراز أعلام الزمن «أبو عبد الرحمن طاؤوس بن أبي حنيفة بن كيسان وقيل ذكوان» وأنظر ترجمة المذكور في تهذيب التهذيب 8/5 وصفة الصفوة 160/2 وحلية الأولياء 3/4 ووفيات الأعيان 233/1 والإعلام 224/3.

(5) طراز أعلام: أنتم.

(6) في الأصل من أبي خولان والإصلاح من الطراز.

(7) تهذيب الأسماء واللغات /12.

يخفيه بل يبديه إلّا لعارض يخشاه من إظهاره على نفسه أو ماله، ونحو ذلك ذكر ابن الأثير في كتابه النهاية[1] في باب حرف الكاف والواو وقال بعد كلام في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال له رجل أخبرني [يا][2] أمير المؤمنين عن أصلكم معشر قريش فقال نحن من كُوْثَى، فقال ابن الأثير أراد كوثى العراق وهي سرة السواد[3] التي ولد بها إبراهيم عليه السّلام، وفي حديث آخر أنه قال: من كان سائلاً عن نسبنا فإنّا قوم من كوثى، قال ابن الأثير: وهذا منه تبري[4] من الفخر بالأنساب، وتحقيق لقوله تعالى: ﴿أن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[5] وقال ابن الأثير [وقيل][6] أراد بكوثى مكة وهي محلة عبد[7] الدار، وقال: الأول أوجه ويشهد له حديث ابن عباس «نحن معاشر قريش حيّ من النّبط من أهل كوثى والنبط من أهل العراق انتهى «. . . . . .»[8] مثل ما ذكر العامري[9] في البهجة[10] عند مراجعة وفد كنده الذي كبيرهم الأشعث بن قيس قال الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو آكل المرار، وأنتم بن أكل المرار فضحك رسول الله ﷺ وقال: ناسبوا بهذا النّسب ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب، وكانا تاجرين فكانا إذا سارا في أرض العرب[11] يسألان: من

---

(1) أنظر النهاية في غريب الحديث 207/4.

(2) ساقط من (م) و (ت).

(3) في الأصول السودان والإصلاح من النهاية 207/4.

(4) في النهاية تبروٌ.

(5) سورة الحجرات، الآية 13.

(6) زيادة من النهاية ليستقيم المعنى.

(7) في الأصول عند والإصلاح من النهاية.

(8) بياض في الأصول.

(9) هو يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرضي من علماء الحديث والتاريخ وفاته سنة 893 أنظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي /52 (ط) ثانية (8) يعني به الكتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل في السير والأخلاق والشمائل معه عدة نسخ خطية (أنظر كتابنا المصادر 92).

(10) بهجة المحافل2 :20.

(11) في (ت) و (هـ) المغرب. وأصلحناه من بهجة المحافل.

أنتما، فيقولان: من بني آكل المرار ليعزوا بذلك في العرب لأن بني آكل المرار من كندة كانوا ملوكاً، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: لا تقولوا كذا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا تعقوا أمّناً ولا نقتفي من ابينا انتهى[1] فلذلك إذا سئلنا عن نسبنا أجبناهم، ووجدوا أنسابنا في المشجّرات والكتب المعقودة لحفظ أنساب الأشراف، وكذلك كتب التّواريخ المعقودة لحفظ بطون القبائل خصوصاً عدنان وقحطان لأنهم العمدة فيما في أيدي الناس من التّمسك في الأنساب ألا ترى إلى ما ذكره العامري في كتاب الرياض المستطابة[2] به في حرف الصّاد المهملة في ترجمة صهيب الرومي[3] فقال صهيب بن سنان بن مالك بن النمر بن قاسط فخذ من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وأتى بما يتعلق من أخباره إلى أن [قال] له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنت رجل لولا فيك ثلاث خصال[4]، قال: وما هي، قال: أكتنيت، وليس لك ولد وانتميت إلى العرب، وأنت من الروم تتكلم بلسان الروم، وفيك سَرَف في الطعام، فقال له: أما الكنية فكنّاني رسول الله ﷺ [كناني][5] أبا يحيى، وأما النسب فإني من النمر ابن قاسط سَبَتْني الروم من الموصل بعد إذ[6] أنا غلام، وقد عرفت نسبي، وأما سَرَف الطعام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول[7] «خيركم من أطعم الطعام» وكان عمر رضي الله عنه يحسن[8] الظن به، حتى أنه لما أحضر[9] أوصى أن يصلي عليه، وصلى بالناس أيام الشورى انتهى[10].

---

(1) أنظر: بهجة المحافل وفيه: لا تقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا.
(2) في الأصول الرياضة المستهللة والإصلاح من عندنا.
(3) الرياض المستطابة 130 ط مكتبة المعارف بلبنان سنة 1982.
(4) كذا في الأصل وفي الرياض المستطابة «لولا خصال ثلاث فيك».
(5) زيادة من الرياض المستطابة.
(6) في الأصل وأنا غلام والمثبت من الرياض.
(7) اخرجه أحمد بن حنبل في المسند 16:6 وابن عساكر9:2.
(8) في الرياض حسن.
(9) في الرياض (طعن).
(10) أنظر الرياض المستطابة 130-131.

ذكر النقلة[1]

وهذه المقدمة ذكرتها توطئة لما بعدها من أسباب نقلتي من بلاد المغرب إلى الجهات اليمانية والجهات الحضرمية، وذلك لطول سفري، وخِفْت من فجأة الموت بغتة، فأردت أن أذكر في سبب مسيري من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق، كما ذكر الإمام المنصور بالله وغيره ذكر سبب انتقال الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى إلى المغرب و[ذكر سبب مجيئه من بلاد المغرب].

فنقول وبالله تعالى الإعانة والتوفيق: اعلموا إخواني في الله تعالى جعلني الله وإيّاكم من المتحابِّين في الله وكذلك أولادي ومن يريد الإفادة عن سبب مجيئي من بلاد المغرب، وأين بلادي، ومن[2] انتمى إليه من الأدارسة وغير ذلك من تاريخ الميلاد إلى يومنا هذا.

أما ميلادي فكان في حدود سنة خمس وستين أوست وستين من القرن العاشر وذلك في حوال الفيضة المذكورة الذي من بلاد (أنقاد) ما بين مدينة فاس ومدينة تلمسان نحو خمس مراحل[3]، وهذه البلاد المسماة أنقاد بلاد معمورة، جبال ووطا وعشائر كثيرة، فيها جبال زناته[4] **وهم خلق كثير بحري بلاد الفيضة والبحري من بلاد المغرب تحت بنات نعش وواد يُسمّى وادي زا بزاي واحدة وألف مقوّم**[5] فيه عمائر كثيرة، لسانهم لسان سريان[7] وهم يسمون بني يعلي[8]،

---

(1) من هامش «هـ».

(2) كذا في الأصول صوابه «وممن».

(3) في الدرة الفاخرة للمؤلف الغيضة بقرب مثليل من أعمال أنقاد بفاس.

(4) زناته: قبيلة من البربر أنظر (نهاية الأرب للقلقشندي 273. وفي الأصل زنانة (بنونين).

(5) أي ألف قائمة.

(6) يعني لغة البربر.

(7) أنظر ذكرهم في رحلة الورثلاني 45 والبستان 27.

وكذلك قبائل عرب أهل ابل وخيل وغنم، وهم عمدة العرب الذي في بلاد أنقاد، يسمون أولاد طَلْحة بن يعقوب[1] جدُّهم وليٌّ مقبور في قرية من أعمال أنقاد، دون بلادي إلى المشرق بلد تسمى أسلى إلى المشرق وإسْلي بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر اللام بعده ياء ساكنة[2] فيها مشائخ يسمون «زرارة»[3] منهم الشيخ موسى بن عبد العالي الزراري، أخذ عنه الشيخ طلحة بن يعقوب بن يعقوب الذي أولاده اليوم بسنان قبل بلاد أنقاد، وكان جدهم طلحة المذكور تلميذ الشيخ الزُّراري (بزاي وراء مكرّرة بينهما ألف وياء ينسب) قبيلته الذي منهم الشيخ موسى بن عبد العالي في قرية أسلي (بألف وسين ساكنة ولام بعدها ياء) رأى طلحة بن يعقوب في النوم كأنه يبول ناراً، فقال له أستاذه الزَّراري يخرج منك ذريه ينتفع بهم أناس ويتضرّر بهم أناس، فقال طلحة: لا أتزوج، فقال الشيخ: ما كتبه الله لا بد منه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فكان كما كان خرجوا منه هذه الذرية يسمون أولاد طلحة بن يعقوب، وهم الذي جاءوا من المغرب سنة سبعين من القرن العاشر ومدار بلاد أنقاد على الله وعليهم،

ثم في أنقاد قبائل يسمّون بالأحلاف أيضاً ما بين مدينة فاس، وأولاد مريم[4] والعُبَّاد[5] (بعين مضمومة وباء مشددة) جنب قوي أيضاً، وباقي قبائل أنقاد مثل أشجع وقنان ومهايا وغيرهم تبع[6] لهذه القبائل الذين هم أولاد طلحة بن يعقوب والأحلاف.

ولنرجع الآن إلى ذكري قلت[7]: كان ميلادي في سنة خمس أو ست وستين من القرن العاشر، وبقيت بين أبواي عشر سنين، ومات والدي ونحن

---

(1) ذكرهم في البستان 134.

(2) أنظرها في الروض المعطار 54 ورحلة الورثلاني 84.

(3) زرارة: بطن من دارم من العدنانية (القلقشندي 270).

(4) ذكرهم في الورثلاني في رحلته 130.

(5) في (هـ) العياد بياء وأنظر حولها البستان 28.

(6) في (هـ) و (ت) تبيع.

(7) في الأصول فقلت والإصلاح من عندنا.

أهـل خدور وقبـروه بالفيضـة، وأخذ إخـواني في مقبرة تحت الفيضـة فيها مقبرة لأولاد أعمامنا يسمون أولاد يحيـى بن إبراهيم بن أبي الوكيل قبر والدي فيها نقلوه من مكان يسمى متليلي[1] واد من أودية أعمال أنقاد نحو ثلثي مرحلة أو أكثر، وكان أخي محمد بن عابد المذكور مات قبل والدي عابد قبر في هذه المقبرة، وقبر والدي بها، ووالدتي منصورة بنت عبد الله بن عمر، أبي ولد عمّها مات وهي صغيرة وصبرت علينا حسبة[2] لله ورجاء ثواب الحديث الوارد في فضل من صبرت على أيتامها الحديث لم يحضرني[3]، ونحن عيالها خمسة زهرة ومحمد، وأنا يوسف، وفاطمة، وأبو القاسم تركه والدي صغيراً وأكبر منا أختنا زهرة، مات والدي وهي ابنة ثلاث عشر سنة، وبقيت والدتنا علينا، ولنا إخوان من امرأة من قبائل زنانة تسمّى فاطمة بنت العياط (بعين مهملة وياء مثناة من تحت مشددّة بعدها الف وطاء مهملة) أكبرهم محمد الذي مات قبل أبيه، وبنت ماتت قبله تزوّجها ابن عمها يحيى بن علي بن عبد الله بن عمر ولا تحتها أحد من العيال، وموسى وعلي ابنا عابد وهما متزوجان، وتحت كل واحد منهم ولد وولد ولد[4] ولدوا في السنة التي مات فيها والدي، وهي سنة أربع وسبعين، أو خمس وسبعين من القرن العاشر، وأنا في بلادي آبائي وأجدادي بين أظهر أهلي، وربيت في حجر والدي وإخواني وأخوالي، وهم: محمد بن عبد الله بن عمر، وعلي بن عبد الله بن عمر هؤلاء إخوان الوالده من الأب والأم، لأن جدي عبد الله بن عمر، وجدي محمد بن عمر، وجدّي يوسف بن عمر آبائي، أما جدي عبد الله بن عمر زوّجه والده عمر بن إبراهيم بن عمر بن عيسى، بنت عمه أسمها سلطانة بنت محمد بن زكريا بن يحيـى بن عيسى، فجاءت له بثلاثـة ذكور، محمد وعلي وعابد وزهـرة، ووالدتي منصـورة وأميرة ومـات زوجها

---

(1) في الدرة الفاخرة للمؤلف (مثليل).

(2) في (م) و (ت) حسنة.

(3) حديث زينب إمرأة عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «نعم لها أجران مرتين أجر القرابة وأجر الصدقة» (أنظر فضائل الأعمال للمقدسي 53).

(4) كذا في الأصول.

عبد الله بن عمر، فتزوجها بعده أخوه يوسف بن عمر فجاءت له بخالي عمر، وهو الذي أخذنا آدابنا منه لأنه عالم، وصنوه عبد الله بن عمر، وأما جدّي محمّد بن عمر، ما جاب[1] إلا بوالدي عابد، وأخته من أبيه، وأمه حليمة بنت محمد، وكان جدي محمد أخذ[2] جدتي غنيمة من أولاد يحيى بن إبراهيم بن أبي الوكيل بعدما كانت تحت علي بن أحمد بن زكريا بن يحيى بن عيسى، فجاءت له بعيسى ومحجوبة، وواحد ولدته بعد موت أبيه فسمّوه علي بن علي باسم والده، ثم تزوجت محمد بن عمر، فجاءت له بعمّتي حليمة، ثم جاءت له بعدها بوالدي عابد، ثم سافر جدّي محمد إلى المشرق: الغيضة، قيل إلى أصحاب الإمام السوسي[3] محمد بن يوسف المعروف، بعد وفات والده عمر بن إبراهيم، ومات هناك حول بلاد تلمسان في جبل يسمّى برار (برائين مهملتين)[4]، وظهرت إشارته بعد موته فبنى عليه حوطة، هكذا ذكر لي لأنه جاء إلي علي بن عبد الله بن عمر، فأخبرني أنه سار متعنّي له بعد مدّة، وذكروا أهل جبال نزاره هذا الكلام، وجاء إلى قبر جدي محمد بن عمر، ووجدوه على ما ذكروه له عليه حوطة بناء، وهي مكشوفة ما عليها سقف وتربّى والدي في حجر إخوانه من أمه عيسى بن علي، وعلي بن علي ومحجوبة بنت علي، ثم مات خالي محمد بن عبد الله بعد والدي وقبروه عند والدي في مقبرة حول يَقّور (بقاف مشددة وواو ورا وياء قبلها) وهي مقبرة لأبناء عمنا يحيى بن إبراهيم بن أبي الوكيل، ولا يعرف لنا فيها أحدٌ من قبر إلاّ أخي محمد ووالدي عابد وخالي محمد بن عبد الله، ولا لنا مكان نقبر فيه عند جدّي عمر بن إبراهيم وعياله وآبائه وأجداده المقبورين في بلاد أنقاد في مكان يسمّى عين تامه وهي عين تسمّى عين الدفلة والأخرى عين الحجر تسمى عيون ملوك، وما دريت ما السّبب في هذه المياه التي في وطأ

(1) كذا في الأصول وهو من العامي في حضرموت «جاب» بمعنى احضر أو أوجد.

(2) أخذ أيضاً من العامي. بمعنى (تزوّج) أو «اقترن».

(3) كذا في الأصول ولعله السنوسي: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله عالم تلمسان من أشهر مؤلفاته الحفيدة السنوسية وشرح صحيح مسلم توفي سنة 895 «البستان لابن مريم 237 والإعلام 145/7). و 14 في البستان تراره بالتاء ولعله غيره (البستان 134).

(4) في البستان تراره بالتاء ولعله غيره (البستان 134).

الأرض[1] لا في جبل عيون تتفجر من الأرض بهذا الاسم عيون ملوك، إلا أن غالب أهل الجهة يقولون نسبت إلى رجل اسمه عبد الملك فسمّوه ملوك، ولعل الذي كان مالك هذه العيون اسمه عبد الملك فسمّوه ملوك، والله أعلم.

وفي جهات أنقاد نهرٌ كبير يسمّى ملويّة[2] يخرج رأسه في جبال قبليّة مدينة فاس شرقيّة بلاد أنقاد، عليه قرى وعمائر ومزارع.

وفي أعلى ملوك مدينة تسمى وطاطا فيها قرأ العلم والقرآن [محمد][3] بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن عيسى بن أبي الوكيل قرأ بالسبعة الأقلام أي السبع القراأت ورواتها، وتفقه في الدين فيها وبقي فيها نحو خمس عشرة سنة، وهي لنا بركة لا تزال إذا طلب أحدٌ منا العلم يشرب من مياهها.

وفي بلاد أنقاد هذه خلق كثير ولكن أهلها الغالب عليهم البداوة كل شيخ يحمل على إبله قوت قبيلته وعلى إبل من كان في جماعته ربما يكون قوت سنه، وينجعوا[4] إلى جهات في أيام وأشهر معلومة عندهم، وبين بلاد آبائي ومدينة فاس نهر ملوّية ووراء النهر إلى جهة فاس مدينة تسمى تازة[5] (بتاء وزاي قبلها ألف) وحولها جبال وعمائر منهم البراس[6] وبنو حميد وجبال الرأس[7] متصلة بجبال بنو حميد، وجبال غمارا[8] وغير ذلك، والأمة مرحومه والإسلام قوي

(1) ساقط من (مـ).

(2) الاستبصار في عجائب الأمصار 177: نهر كبير من الأنهار المشهورة يمر على مدينة أجر سيف.

(3) ساقط من (م) و (ت).

(4) يذهبون لطلب الكلأ.

(5) تازة: وقد تخفف من الهاء فيقال لها تازا: من بلاد المغرب أنظر الروض المعطار 128 والاستبصار 176.

(6) كذا في (م) وفي (هـ) الراس ولعل الصواب البرانس بنون زائدة بعد قبل السين الأخيرة (أنظر الاستبصار 200).

(7) كذا في الأصول ويحقق بجبل أوراس المشهور أنظر الروض المعطار، 65 والاستبصار 162 وكذا الذي قبله (حميد) لعله (جبل حاميم) ذكره في الاستبصار 191 قال بالغرب من تطوان.

(8) هي جبال غمارة المستبصر 190 قال جبل غمارة من أصعب جبال المغرب.

فلله الحمد على ذلك، فبقيت في بلاد إنقاد بين أظهر أهلي إلى تمام عشرين سنة في العمر، وذلك في سنة أربع أو خمس وثمانين[1] في القرن العاشر، وأنا بين هذه الجهة جهات أنقاد نترَدّد على سلف[2] أهل الأرض إلى مدينة تسمى وحدة (بواو ودال وحاء[3] مهملة ساكنة بينهما وهاء وفيها الشيخ موسى الواحدي[4] الذي جرار[5] عليهم في يديه، فأسرح[6] ما بين بلادنا وبلاد تلمسان، وكنت في بعض الأحيان وأنا في هذه الجهة أتردّد إليها وأقرأ فيها القرآن، وفيها قبائل يسمّون أولاد عيسى[7] وأولاد زين، ووقع بينهما حرب في المدينة، وهما أولاد عم والصّلح والحرب بينهما كما وقع لأولاد طلحة بن يعقوب، وأولاد موسى بن طلحة[8]، وجاب[9] موسى عبد الله وأحمد وعائشة، فهؤلاء على أم، وجاب[10] عبد الملك ومظفر ومنصور أمهم غير أم إخوانهم، فاحتربوا حتى توسّع بينهم الحرب حتى صار من كان في بلاد أنقاد كل إنسان منهم مع أحد من أولاد طلحة بن يعقوب معهم العرب، وما كان من أولاد عبد الله بن موسى وأولاد أحمد بن موسى، وأولاد عائشة بنت موسى حالفوا[11] من كانت له شوكة في

---

(1) في (م) ثمانيين).

(2) سلف: سالف عادة.

(3) كذا يضبطها المؤلف وأظنها وجدة بالواو والجيم المعجمة مدينة مشهورة بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل أنظر الروض المعطار 607 والاستبصار 177 وسيأتي ضبطها صحيحاً بالجيم عند عودته إلى ذكرها وهي قرية شرقي الفيضية.

(4) في البستان /286 «موسى الوجد يحيى مفتي «تلمسان» فلعله المقصود هنا قلت إنما هو موسى الوجدي بالجيم نسبة إلى وجدة كما سيأتي.

(5) كذا في الأصول.

(6) أسرح: أذهب أو أرحل وهو من كلام أهل حضرموت في ذلك الوقت.

(7) رحلة الورثلاني: 554.

(8) البستان 134.

(9) سبق من العامي بمعنى أتى أو أحضر.

(10) أنظر التعليق السابق.

(11) في (م) و (ت) خالفوا بالخاء المعجمة.

جهات فاس، وإخوانهم أولاد عبد الملك بن موسى، وأولاد منصور بن موسى من كانت له الشوكة في جهات فاس وإخوانهم الذين أولاد عبد الملك وأولاد مظفر بن موسى، وأولاد منصور بن موسى حالفوا من كان بتلمسان والمشارق نشرت هذه الفتنة بين هذه القبائل وتعصبت القبائل بعضها على بعض فاتسع الأمر على من لا له نصير إلا الله [. . . . .][1] مثلنا أولاد أبي الوكيل في هذه الجهة الذي ينسبونا فيها إلى عيسى ابن أبي الوكيل، وليس هذه الجهات لآبائنا الذين قبل أبي الوكيل، وإنما كانت بلادنا الأصلي[2] بعد انتقال الإمام محمد بن إدريس بن الإمام إدريس[3] الأكبر إلى السوس[4] مدينة وراء مدينة فاس بلاد معروفة، وكان جدنا محمد بن إدريس مالك جهات سوس يمضي فيها أحكام الله على مقتضى قانون الملوك أرباب العدل على ما ذكره جدّه الإمام إدريس الأكبر فيما نقلوه الثّقات على ما تقدّم في خطبة جده ونشر دعوته في المغرب[5] ثم الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء إلى زمان الجد أبي الوكيل ولنا في هذه الجهات التي هي مآرب فاس حول نهر يسمى أم ربيع[6] قرية خاصة بأولاد أبي الوكيل، قال في تواريخ الآباء والأجداد: إنما كان سبب نقلته إلى هذه الجهة جهات «أنقاد» حين مات جدُّنا أبو الوكيل، وكان ابنه عيسى أنحله أبوه فرساً يعني أبوه أنحله إياها عطيّة فطلبوا الإرث منها إخوانه، فقال: لا هذه انحلنيها والدي، وجاء إلى جهات أنقاد وأظنه والله أعلم لا يريد التوطن فيها إلاَّ على صورة الغضب من أهله، وكان من أمر الله النافذ في حكمه كتبت الدار وعمر ببركته الدين، وتزوّج في هذه الجهة، وجاء له ولدان أحدهما يحيى بن عيسى، والثاني عمر بن عيسى أبناء أبي الوكيل والله أعلم، مات والدهم عيسى وبقيا

(1) بياض في (م) و (ت).
(2) كذا في الأصول صوابه التأنيث.
(3) من ملوك الدولة الإدريسية بالمغرب وفاته سنة 221 (أنظر الأعلام 27/6).
(4) أنظرها في الروض المعطار 329 والاستبصار 147.
(5) أنظرها ص. 13 من هذا الكتاب.
(6) نهر مشهور في المغرب يخترق عدة مدن انظر (مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب) 651 ط سنة 1983.

يحيى، وعمر في هذه الجهة وبانت بركتها في الجهة آخذين طريق جدّهما أبو الوكيل.

وكان أبو الوكيل هذا في زمانه مشهور المشيخة والبركة، وظهرت على يديه خوارق ومناقبه في تواريخ أرباب زمانه مؤرّخة حتى صارت ذرّيته في المغرب محترمه إلى الآن نفع الله بهم.

فلما شاع ذكر أولاد عيسى بن أبي الوكيل يحيى وعمر، وكانا في الجهة أرباب شوكه في زمان أهل شوكة تلمسان ونواحيها، فهم الذين اشتروا الفيضة، وما يليها من العقار والأشجار والمصالح بين حدود معروفة من قبائل يقال لهم بني مطاع بثمن ضابط، حتى صارت لنا هذه البلد مشترى من بني مطاع وظهر من أبناء عيسى بن أبي الوكيل الذين هما يحيى وعمر أخوان شقيقان من الأب والأم، وكان وادي زا وتازة وما بينهما من البلدان، وربما كانا مقدّمين لبني عبد المؤمن صاحب دعوة المغرب.

فلما انقضت دولة بني عبد المؤمن[1] تولّوا بعدهم بنو مرين[2] (بميم ورا مهملة ويا تحت مثناة) جعلوا لأولاد عيسى ابن أبي الوكيل للذين[3] هما يحيى وعمر أبناء عيسى صاع ذهب كل سنة من عاشور إلى عاشور، وهو الذي يعطي به الفطرة أربعة أمداد بمد النبي ﷺ وبقرة وصحْفة بر، وهو وسق[4] ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ، وهذا سبب رغبتهم في بلاد أنقاد فبقي فيها آباؤنا وأجدادنا إلى زماني الذي خرجت فيه لطلب العلم، وهو سنة أربع وثمانيين من القرن العاشر، ولكلٍ منا في هذه الجهة محل مختص به معروف لا يجحد، ولو بقي منّا امرأة ما أحدٌ يعدوا على أحد، وكانت لبني مطاع أخوة لأولاد مظفّر بن

---

(1) هي دولة الموحدين من سنة 1146 إلى سنة 1235 م. أنظر (المنجد في العلوم 692).

(2) ملوك مراكش من سنة 1195 إلى سنة 1468 م. شادوا دولتهم على أنقاض دولة الموحدين (المنجد 657).

(3) كذا في الأصول ولعل الصواب (الذان).

(4) الوَسَق: عند أهل الحجاز ثلاثمئة رطل وعشرون رطلاً وعند أهل العراق أربعمئة وثمانون رطلاً قال الخليل الوسق هو حمل البعير، والوقر حمل البغل والحمار (المحيط 969).

طلحة بن يعقوب المذكور احتملوها أجدادنا إلى زماني الذي هاجرت فيه إلى مدينة فاس حرسها الله تعالى، وصرنا أولاد أبي الوكيل أربع أبطن، نحن آل عيسى أبي الوكيل، وآل عمر بن عيسى بن أبي الوكيل، ولنا أبناء عم يقال لهم أولاد يحيى بن إبراهيم، وأولاد يعقوب بن إبراهيم في بلاد «أنقاد»، ولنا بطن في جبال الحناش جدهم محمد بن أبي الوكيل، والذي في قرية أولاد أبي الوكيل عمر بن أبي الوكيل، وربما طرق سمعي أن أحد من أولاد أبي الوكيل في مشارق جهاتنا أو سبيلية[1] أو تونس ونحو ذلك.

هذه جهات آبائي وأجدادي فيها نشأت[2] وبينهما ترددت أدخل فيها ويدخل فيها أرحامي، إلى أن بلغت العشرين السنة.

(1) كذا في الأصول والصواب (اشبيلية) من الأندلس (معروفة) وفي الروض المعطار: 304 سبيبة بلده من القيروان على وادي الرمل فلعلها المذكورة هنا والله أعلم.

(2) في الأصول (نشوت).

ذكر النقل لطلب العلم

ثم دعيت في سنة أربع أو خمس وثمانين إلى طلب العلم والإفادة من أفواه الرِّجال وقراءة القرآن، وأخذنا عمَّن أخذ من حفَّاظ القرآن المشهورين بذلك، فتوجَّهت إلى مدينة السَّلام فاس وأنا ابن واحدة[1] وعشرين سنة في العمر حيث أعقل مالي وما عليّ، فلهذا غلب علي اسم الفاسي لأجل الإقامة في مدينة فاس، ولأنها دار آبائنا الأدارسة، ورأيت في بعض التواريخ سبب تسميتها فاس[2] قال فيه لأنها يوم أسّسها الشّريف إدريس وجد بساسها[3] فاس قال: سموها بفاس، وأيضاً أنها مدينة لها جهات وتحكم على الجهات التي تليها والتي تقارهبا من أعمال المغرب، ولأنه صار من تفقه فيها ودخل فيها ولو كان من أهل العلم وطلب العلم بها سُمّي عندهم فاسي، كيف وأنا بقيت في مدارسها أتردد ما بينها وبين مدينة مكناس[4] وهي مدينة وراء مدينة فاس إلى المغرب نحو مرحلة قويّة، وفي ما بينها من القرى الذي فيها من العلماء ما ينتفع به.

---

(1) كذا في (م) وفي (هـ) واحد والصواب احدى.

(2) في الدرر السنية 94 عن سبب تسمية فاس «إن الإمام إدريس لما عزم على بنائها ووقف موضعها مر بها شيخ كبير راهب فقال له: أخبرني راهب كان قبلي إنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى (سافا) خربت منذ ألف سنة فلما بناها قيل له كيف تسميها قال باسم المدينة التي كانت قبلها ساف ولكن أقلب إسمها الأول وسميها فسماها (فاسا) وكان تأسيس إدريس لمدينة فاس على ما ذكره المؤرخون سنة 192).

(3) السّاس: الأساس.

(4) من أشهر المدن المغربية ويقال لها أيضاً مكناسة بهاء التأنيث وتسمى أيضاً مكناسة الزيتون قال في الروض مدينة في المغرب من نظر فاس إلى جهة المغرب وهي أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون أنظر (الروض المعطار 544 والاستبصار 187).

ذكر خروجه

وكان سبب خروجي من مدينة فاس سنة تسعين في القرن العاشر ولي في مدرسة مصباح حول جامع القرويين[1] لي فيها مكان في علوّ المدرسة، ومكان لما يحتاج إليه من استعمال القوت، لأنّه سُفل يوقد فيه النار، ويصلح للدّخان بخلاف العُلُوّ، وتحت العلو أيضاً مثل العُلو، وتحت الذي تحت العلو سفل، وكنا في هذه المدرسة نحو ثلثمة من طلبة العلم والقرآن، وكان أستاذنا فيها الذي أخذنا عنه القرآن وغيره الشيخ إبراهيم المامودي[2] نفع الله به أمين، فبقيت أتردد في مدارس المدينة المذكورة. وحال ما[3] دخلت مدرسة الوادي حول جامع مدرسة الأندلس، جامع كبير إلى جهة مشرق المدينة إلى باب الفتوح الذي مقبور فيه الشيخ علي بن حرازم[4]، وعنده مقبرة كبيرة فيها علماء ومشائخ مقبورين في داخل هذه المقبرة: الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد[5] نفع الله به وسمي أي المكان الذي فيه هذه المقبرة «كدية البراطيل» وهذه المدرسة مدرسة

---

(1) من معاقل العلم الشهيرة في العالم الإسلامي أسس في القرن الثالث ا لهجري وأخباره مستفيضة ومدرسة مصباح، لم أجدها في المراجع التي بحوزتي وأظنها تنسب إلى الشيخ أحمد زروق بن مصباح والله أعلم.

(2) كذا في الأصول وما أظنه إلا الشيخ إبراهيم المصمودي أنظر ترجمة جدّ المذكور المتوفي سنة 804 في البستان 64 ولعل الصواب ما جاء عند المؤلف لأنه يكرر إسمه هكذا.

(3) كذا في الأصول ولعل في العبارة نقصاً.

(4) في بعض المصادر أبو الحسن علي بن حرزهم أنظر قصته مع الغزالي في تعريف الأحياء بفضائل الأحياء ص 10 بهامش كتاب الأحياء والبستان 108.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن عباد النفري شارح حكم ابن عطاءالله وصاحب المؤلفات الكثيرة وفاته سنة 792 أنظر الأعلام 299/3.

الوادي مرصودة لمن جاء من طلبة العلم في مشارق مدينة فاس، وكل واحد منهم ما يجيء إلا لمن فيها[1] من طلبة العلم، وأنا دخلتها سنة أربع أو خمس وثمانين في القرن العاشر، وأنا إذ ذاك في عمري[2] إحدى وعشرين سنة، وكان الأستاذ الذي فيها عبد القادر[3] وهو أول من قرأت عليه في هذه المدرسة لأنه من مشارق[4] من نحو قبائل بني تلمسان الجزائر مدينة دون مدينة تلمسان بنحو عشر مراحل إلى المشرق، ثم إني معتكف على طلب العلم فيها ما خرجت من بلادي وبلاد آبائي إلَّا للتفقه في الدِّين وأخذ القرآن العظيم والتماس مجالس العلماء والأولياء ولا نَدْري بما في هذه المدينة ولا بما في أسواقها ولا بما في شوارعها ولا أبوابها إلَّا ما سمعنا من أهل المدرس أن فيها اثنا عشر مدرسة لطلب العلم واثنا عشر خطبة[5] واثنا عشر باب وفي كل باب ألف من الجند، وربما رجعت في عدم المداخلة للنَّاس، فقلت للذي ذكر لي ذلك: ما جئنا من أوطاننا وتَرَكْنا ما يجب على أمثالنا من الأمور الواجبة التي لا يقوم بمثلها إلا أمثالنا، وتركنا الإخوان قائمين بما يجب علينا من الإقامة بذلك، فكيف تجوز لنا الغفلة فيما كان بسبب خروجنا من الوطن والأهل والوالدة الإله[6] مع ما تركت لهم من الكفاية لنا الجميع، الله يتفضل علينا مع تمام مقصودنا.

---

(1) كذا.

(2) كذا.

(3) كذا في الأصول دون أن ينسبه إلى أحد ولعله غاب عنه بقية نسبه وفي البستان 266 ذكر لشخص إسمه عبد القادر فلعله المعنى هنا.

(4) كذا.

(5) كذا في سائر النسخ ولعل صوابه خطه: محله أو حارة.

(6) كذا في الحملة اضطراب.

ذكر خروجه من مدينة فاس إلى مدينة مكناس

وكذلك خرجت من مدينة فاس إلى مدينة مكناس وقصدت الشيخ أحمد القناوي، وكان إماماً في جامع النجّارين وهذا الجامع قديم كانوا يتعبّدون فيه الأولياء الأكابر من جملتهم الشيخ أبو يعزى[1] بزاي وعين وياء وألفٍ نفع الله به، وكذلك الشيخ أبو مدين[2] نفع الله بهما وغيرهما من الأولياء الأكابر، وكان هذا الشيخ يجابرني[3] ويلاطفني ولا يدري من أين أنا وإلاّ أنا شريف طالب علم ولا بحثني عن نفسي إلا أنه يتوسم في جدّي وتوجّهي إلى صناعة طلب العلم، وأقص[4] عليه من القرآن مقرأ، وكان جعل لي في كل شهر حرف[5] ذهب أحمر أصرفه فيما أحتاج إليه، وبدأت عليه ختمه من القرآن إلى أن وصلت سورة المائدة وكان ذلك في آخر شعبان والعادة يقسّم قيام التّراويح بين الطّلبة كل واحد مقام أربع ركعات في كل ركعة ربع حِزْب، أو ثمن حِزْب، لأن الحزب عندنا نصف الجزؤ، وكان ذلك اليوم مكتوب في لوحي ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾[6] وكان آخر لوحي آية تقف على قوله

(1) هو شيخ أبي مدين (البستان 108) وفي المفاخر العلية ورد إسمه هكذا أدار بن ميمون الهزميري الهسكوري أنظر (المفاخر العلية في المآثر الشاذلية '

(2) هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (البستان 108) وهو من أكابر الصوفية أنظر ترجمته في الأعلام 166/3 وفيه مصادره قال وفاته سنة 594.

(3) جابره: جالسه وحادثه.

(4) قصّ عليه في الكتاب: قابل معه فيه كقولهم قص الأثر تابعه.

(5) الحرف: من أسماء العملة عند أهل اليمن والحجاز ذكره الورثلاني في رحلته 510 قال «ومن عاداتهم في التعامل أنهم يسمون الأربعين ما يديا (؟) حرفا (صرفا في المطبوعة) فيقولون عشرة أحرف إلخ.

(6) الآية: 12 سورة المائدة.

تعالى: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾[1] الآية، وعندنا في المغرب هذا أول الحزب والذي أول لوحي «الذي» إلى «قال رجلان» ربع حزب، وأنا أكتبه غيب من صَدْري من بين صلاة الظهر إلى العصر، حين وقت قراءتي على الشيخ أحمد القناوي نفع الله به، فما دريت بنفسي إلاَّ وكأن أحد أخذ قلبي من بين جنبي جوانحي وثقل لساني من غير مرض ولا سبب من الأسباب المذكورة في كتب الطب فضاقت علي الأرض بما رحبت، فجاء الشيخ أحمد المذكور وشكوت عليه ما وقع معي، وجئت أقص عليه على عادتي ما قدرت أحرّك لساني مثل ما كنت أعتاده بالأمس، فعلم هذا الشيخ المقري أحمد المذكور أن هذا أمر سماوي ويصَبّرني، ويقول لي: أبواب الخير كثيرة وازداد بي الألم في باطني، حتى خفت، وكان واحد من أولاد عمِّي يقرأ معي من رجب اسمه عبد الله بن عمر، ولد خالي من أمّي ويوسف بن عمر سَيِّد فاضل هاجر قبلي بسنين بقرأ في أماكن من أعمال المغرب، وحين علم بانتقالي إلى مدينة فاس جاء إليها، فلما لم يجدني فيها سأل عني الذين كنت عندهم في مدرسة «الوادي» المذكورة، وقالوا له سار إلى مكناس حول القناوي أحمد لأنه على يديه وقفٌ لمن يقرأ في جامع النجارين، فوجدني على ما قيل له وأصابتني هذه الحالة وهو معي فتعب لتعبي، ومعي خفّة كل من كلَّمني بكيت بعبرة، وأصبحنا صائمين أول يوم من تلك السنة من رمضان، ولم يخطر في خاطري أحد من مشايخ المغرب تلك المدّة إلاَّ شيخ من مشايخ علوٍّ نهر «ملّوية» المذكورة قبل، وقد كنت زرته قبل هذه المدة مع أناس نطلب منه الدّعاء بالإعانة لما سافرنا إليه من التفقه في الدين وحفظ القرآن، وأعراضه[2] على القراء الآخـذين من أفواه مشايخهم المجودّين له بآلة القراءة كالشّاطبية وغيره من آلة القراءة فأردت السُّفر إلى الشيخ أبو الطيب المذكور ولم[3] أذكر لولد عمي لئلا يعوق علي في المسير إليه على طول المسافة والمخاطرة بالنفس لأنها بعيدة ووديان[4] تسيل مدة أيام

(1) الآية: 23 سورة المائدة.

(2) كذا.

(3) في (ت) نذكر.

(4) أودية جمع وادٍ معروف.

الشتاء، والأسود الضواري التي تفرس الآدمي[1] إذا وجدته[2] بل تقاتل الإنسان على نفسه حتى يمنع نفسه منها وإلاّ أكلته، فوريت عنه، وقلت له: أريد أزور مقبرة الشيخ عبد الله بن أحمد في مقبرة من مقابر مكناس وذلك بعد صلاة الصبح، وعاد الوقت مَبْعد[3] بان فيه ضوء النهار، وأنا ما أردت المسير إلاّ إلى الشيخ أبو الطيب المذكور وكان في مدينة[4] مكناس في ذلك الزمان رجل يغلب عليه الجَذْب يقال له يوسف الدادسي من دادس غرب مكناس له مكاشفات وتصرّفات حتى أن من أراد شيئاً من الأمور التي يعجز عنها جاء إليه، وأمّل له أملاً[5] نال مراده بذلك وله حكايات في ذلك الزّمان مع أهل الشوكة، إذ والله أعلم إن أحد يتولّى المرتبة نصر لذلك الذي يريد نصره وزوال شوكة الأوّل، وكانوا يعاقبونه أشد العقاب، حتى قيل لي رموه في النار فخرج منها سالما، وأصبح ينصر للوافد، حتى سَلّموا له في ذلك، فلما سرت في المدينة أريد الجهة التي فيها الشيخ أبو الطيب لقيني الشيخ يوسف الدادسي[6]، فقال لي: أراك مما[7] تقري هذا الشيخ عقد لسانك وأخذ قلبك أراد. يعطيك العلم اللدني ، وهذا الشيخ الذي تريده ما هو صاحبك إرجع تقرأ حتى يجيء وقتك اليك، فقلت: ما يعقد لسان[1] العبد عن القران إلا الشيطان والعياذ بالله، فقال لي: العلم اللدني خير من العلم الذي يتعاطاه في زماننا البر والفاجر، والعلم اللدني ما يخصّ الله به إلاّ من أحبّه تعالى، مع مراجعة طويلة قال لي: شُف[8] حالي أنا وقع لي مثلك، قلت

---

(1) نسبة إلى آدم: الانسان.

(2) في (م) وجدة.

(3) مَبْعد: من عامية حضرموت في ذلك الوقت أي ما بَعْد أو «لم يبن بعد الضوء».

(4) في (م) و (ت) دميته.

(5) الأمل: شيء كالنذر.

(6) هو يوسف بن عبد الله بن رشيد بن عبد الواحد بن زرهون المالكي الدادسي ترجم له المؤلف في الدرر الفاخرة وقال «إمام الحضرة وأحد أبدال المغرب كان صوفياً صالحاً يتبرك به أهل مراكش ومكناسه توفي في حدود سنة 1000 هـ.

(7) (م) لساني وفي (ت) لساني البعد.

(8) شُفْ: من العامّي بمعنى أنظر.

له: حالك ما[1] يصحبني فضحك من كلامي واطمأن باطني بكلامه الذي فاجأني به، ولا أحد جاءني بخبر من أهل مدينة مكناس، ولا أحد اطّلع على هذه الحالة الذي ذكرها لي غيره.

فعلمت أن كلامه حقّ وفراسته ما هي سدتي[2] وكرر علي عدم الانتفاع بالشيخ الذي أريد[3] الوصول إليه، فما وقفت على كلامه وسرت قاصد الشيخ أبا الطيب المذكور إلى أن وصلت قريته فدخلتها مرارا، وهي حول مدينة مكناس من جهة قبلتهم وقبلة تلك الجهة أن تجعل الجدي على منكبك الأيسر، فبتّ في القرية المذكورة، وأنكروا حالي فيها، وفيها رجلاً صالحاً يحبّ طلبة العلم، وربّما كنت إذا ضاق الحال عليّ في مكناس أخرج فأتفسح عنده أيام الرّبيع، وأزور معه قبر الشيخ أبو يَعْزى في قرية وراء مدينة مكناس بمراحل، فلما رأى حالي وذكرت لهم ما جابني[4] فقالوا أصبر إلى أن تسكن الأودية من سيلانها فإنها تجهد[5]، ولا أحد يقدر يعبرها إلّا الماهر، وكذلك قالوا أيام هذه المدّة بَرْد شديد، ومتى اعتدل الوقت وجئت إلينا سرنا معك، فرجعت مدينة مكناس، فلما شافني[6] يوسف الدادسي[7] رجعت قال لي ما: قلت لك مالك عنده شيء إجلس إقرأ حتى يجيء إليك ذلك الوقت، فقلت له: وأين هذا الشيخ الذي ذكرت لي أجد قلبي يريده، يعطيني[8] العلم اللدني، فقال لي: عادك تعرفه، وقال لي: أراك أراك مما تقرأ كفاك كفاك مما تقرأ، وجلست على الحالة الذي أنا فيها إلّا أنه هان الأمر علي، وسكنت الطبيعة مع علمي بصدقه فيما قال لي،

---

(1) في (م) من.
(2) كذا.
(3) في (م) يريد.
(4) من العامي: أصله جاء به.
(5) في (م) تجهل.
(6) شافني: أبصرني أو رآني.
(7) في (م) الداسي.
(8) في (م) يعطيه.

والنفس تفرح بما قيل لها فيما يأتي إليها من مستقبل الزّمان، فإذا أخبر الإنسان بخبر يمكن صدقه تطمئن إليه نفسه، وجلست في مكاني في مكناس أقرأ على حالتي الأولى إلاّ أنه انطلق لساني قليلاً قليلاً إلى أن ختمت ختمه على القناوي أحمد المذكور نفعنا الله به.

وفي هذه المدينة مشايخ أحياء وأموات، فمن الأموات الشيخ عبد الله بن أحمد،[1] وكان في زمانه إذا أصاب النّاس قحط شديد طلبوه أن يخرج هو والسُّلطان للاستسقاء، فقال لهم الشيخ عبد الله بن أحمد أنا معي كفاية والله يقول: ﴿أمّن يجيب المُضطّر إذا دعاه﴾[2] وأنا ما بي ضرورة، وكذلك قال لهم السلطان: أنا ما أخرج إلا إلى المكان[3]، إلى أن ألحّوا على الشيخ الشّريف عبد الله بن أحمد، فقال للسلطان: إما أن تخرج ممّا كان في يدك مما يقتات به ألنّاس حتى يستجيب الله دعانا أولا تخرج معنا، فقال له السلطان: ما يمكن خروجي ممّا في يدي لأن لي خصوماً إذا علموا ذلك مني قاموا عليَّ فقال له الشيخ المذكور لا تخرج معنا، ولكن ما لم يكن عليك فيه ضرورة إفعله من إنصاف[4] المظلوم [من] الظالم من الرعية[5]، وتفقد ما في يدك من المحابيس، وانصف للضعيف من القوي وانو في الرعية النيّة الصالحة حتى تكون همتك معنا في الدعاء حيث قمت بما عليك من الوظائف، فالتزم الملك ذلك من ذلك اليوم، والشيخ عبد الله بن أحمد المذكور الآّ ولا[6] ترك لمكلفه[7] ما يقوم به إلا غذاءهم ذلك اليوم، وخرج بالنّاس إلى الصّلاة حافي ورأسه مكشوف في ثياب بذلة على صورة الذّل والمسكنة، وصلّى بالناس ودعا لهم

---

(1) في البستان: عبد الله بن حَمَد (أنظر البستان 264 ترجمة محمد بن عمر التلمساني).
(2) سورة النمل، الآية: 62.
(3) كذا وعلق في (هـ) «لعله أنا ما أخرج إلى مكان».
(4) في الأصول إنتصاف.
(5) ساقط من (م).
(6) كذا صوابه لم يترك لتتسق الجملة.
(7) مُكْلفة: زوجته من عامية أهل اليمن.

قالوا: ما رجع من المصلي إلاّ والمطر كأفواه القرب، ودخل منزله، ولا وقع قوت ليلتهم المستقبلة، وكذا علف دابته من الحب إلاّ سلف حتى يتحقّق بالفقر، ويتخلق بالآية يعني ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ وله كرامات كثيرة، وكان أكثر وقف جامع النجارين منه رضي الله عنه.

وكذلك فيها الشيخ أبو محمد بن عيسى المسمّى ذبّاح النفوس، وتلميذه الشيخ أبو الرواني[1]، وكذلك الشيخ سعيد بن أبي بكر الذي أخذت من تلميذه الشيخ أحمد السيّاح في مدينة فاس عند دخولي في هذه الطريقة.

وهذا كله قبل دخولي تحت الإرادة، ولا أدري ما الطّريق وما الإرادة، وإنما أنا إلاّ في طلب العلم الذي يهتف بالأعمال وطلب القرآن وأخذه[2] من أفواه المشايخ على ما أخذوه من مشايخهم إلى منتهى السلسلة إلى مصاحف العثمانية حتى لو عدم القرآن الذي بأيدي النّاس والعياذ بالله لكان الحفّاظ قائمين بما عدم منه لضبط حفظهم من شيخ إلى شيخ إلى المنتهي، بما ضبط في المصاحف العثمانية وذلك لحفظ الدّين بحفظ القرآن العظيم، وكانوا العرب في هذا الحفظ تأخذه إنسان عن إنسان زمان بعد زمان، وكل على نيّته ﴿وإنّما الأعمال بالنيات﴾.

وفي هذه المدينة من العلماء الأحياء الشيخ أحمد القناوي أخذت عنه ختمه قرآن وعلى غيره، وكذا في رواية الحديث في الجامع الكبير الذي يخطب فيه في مدينة مكناس كان إمام الجامع الكبير في مكناس البصري[3].

وفي هذه المدينة صالحين كثير يشار إليهم مثل الشيخ علي بن ناصر النجيمي والشيخ علي بن ناصر الدمتاني، والشيخ موسى أبو صيحة، وأولاد الشيخ محمد بن عيسى ذباح النفوس وغيرهم، وكان فيها الشريف عبد الخالق

---

(1) كذا في (م) وفي (هـ) الراوين ولعله تصحّف من الرداني أسرة مشهورة بالعلم منهم العلاّمة أبو عبد الله محمد بن سليمان الرداني.

(2) في الأصول حدّه.

(3) يعرف آله بأولاد بصرى المكناسي (أنظر فهرس الفهارس 232/1).

قائم بتفسير القرآن كنت ملازمه، وكذلك الشيخ محمد العربي في التّفسير في وقت له مع اختصار.

ونخرج من المدينة أيام الربيع ونعطل الدّرس إلى من يشار إليه من الأولياء في تلك الجهات كأبي يعزى، والشيخ عبد السّلام بن مشيش[1] والمشايخ الذين على ساحل البحر يقال لأحدهم أبو سلهام والآخر عبد الجليل[2] ولهم حكايات ذكرتها في رحلة غير هذه، وأما هذه ما هي إلاّ لـذكر سبب خروجي من وطن الآباء والجدود، فكان هذا سبب الخروج لطلب التفقه في الدّين ولحفظ القرآن على أربابه، حتى أني كتبت من صدري ختمتين من القرآن غيباً على حرف نافع خصوصاً ورش والحمد لله على ذلك، وأرى لساني تنتقل بسبب ما ذكره لي الشيخ يوسف الدادسي المتقدّم ذكره، وكنت أتردّد على الشيخ عبد الله الحجام في حول جبل يسمى زرهون[3] وهو في القرية التي فيها قبور الأدارسة وهم ثلاثة الأكبر[4] والثاني[5] والأصغر[6] وهم أجدادنا وكنت أتردد عليهم لزيارتهم وزيارة من في هذا الجبل من الأولياء منهم عبد الله الحجام[7] ولنا معه منازلات بعدما دخلت في هذه الطّريقة، وكان إذا قابلته يقول ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه﴾[8] مع أنه لا يقرأ ولا يكتب إلاّ أنه كان حجاماً، وكان أستاذه[9] الشيخ معروف زرت قبره في هذا الجبل الذي هو فيه «زرهون»، قالوا لنا الذي أدركوا

(1) صوفي مغربي ولد في جبل العلم بثغر تطوان وقتله ساحر متنبي يسمى الكتامي سنة 622 (أنظر الأعلام 9/4).

(2) أنظر البستان 299 وفي المآثر العلية 13 أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان.

(3) أنظر الدرر السنية: 51.

(4) يعني إدريس الأكبر الدرر السنية (49).

(5) هو إدريس بن إدريس الدرر (49).

(6) هو محمد بن إدريس الدرر(50).

(7) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد الحجام الزرهوني المالكي عدة من شيوخه ووفاته سنة 1002 أنظر الدرر الفاخرة للمؤلف (خ).

(8) سورة القصص، الآية 61.

(9) في (ت) (م) أستاذ.

شيخه: كان في آخر عمر الشيخ [قد] حجمه وأراد أن يجعل الدم في الأرض فانفتحت الأرض تتلقّى الدّم، فعرف وانكشف له حال الشّيخ فشربه بنيةٍ صالحةٍ، فقال له شيخه: أخذتها يا عبد الله، فلما مات شيخه ذكروا له من يكون نائباً عنه في أحواله وأقواله، فقال لهم: السّر ما يدخل معنا وهو يظهر لكم، فظهر سرّه مع الحجام هذا وبانت على يديه خوارق للعادة، وكان لا يزال صائماً الدّهر ولا يفطر إلاّ أيام الأعياد، ولا له مال يملكه إلاّ ما جاء لله صار لله، وأقامه الله تعالى إقامة نفع للأمة.

وكذلك في هذا الجبل موسى بن علي صاحب الصخرة وكذلك الشيخ أحمد القرطباني[1].

وكذلك في سواحل البحر أناس كثير أولياء أحياء وأموات نفع الله بهم، ونزورهم ونطلب الدّعاء من الأحياء وندعو الله عند قبور الأموات.

وذكرت للحجام مقالة الشيخ يوسف الدادسي، فقال لي: ارجع إليه وهو يدلك على صاحبك، وأما أنا ما أقول لك إلاّ اتبع ريحك حيث سارت سر معها، فجيت إلى الشيخ يوسف المذكور في شهر رجب في مكان له يعتكف فيه في مدينة مكناس بدلالة أحد من تلك الجهة، فدخلت عليه في مكان غدرٍ[1] ما ترى يدك فيه، والمكان ضيّق ما تدخل عليه إلا وأنت تحبوا على يديك لضيق المكان إلى أن تصل إليه في مكان واسع لكنه قدر ما تمد ظهرك فيه، فذكرت له ما قال الحجام، فلا أعطاني خبراً مما قال لي أولاً وكلّما سألته عن الذي بشرني به أولاً من عقد لساني وأخذ قلبي أعرض عن ذلك الخبر، فدخل علينا رجل في تلك المغارة، فقال لي: تعرف هذا، فقلت: لا، فقال: هذا الخضر جاء يزورني حيث أنا في هذه الحالة. فقال لي ذلك الرجل: ما أنا الخضر، ودخل علينا رجل ثاني، فقال لي: تعرف هذا، فقلت: لا، قال هذا إلياس جاء يزورني مع الخضر، فقال ذلك الرجل: ما أنا إلياس، ثم دخل علينا ثالث، فقال: أتعرف

---

(1) لعله القرطبي.

(2) غدر: من الغدراء. ظلمة الليل.

هذا، قلت: لا، قال هذا روح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي[1] جاء يزورني، فقال ذلك الرجل: ما هو أنا، ثم عرج به كأنه ميّت ولا أعطاني كلمة، وكلما كلمته رأيت نفسه في عوالم إلى حدّ أني أقرص بأظفاري في فخذه فلا يحس بذلك ولا بقي إلا كالميت، فخرجوا أصحابي قبلي لأنهم يعرفون المكان، وأنا بقيت بعدهم أتردَّد من هذا الجانب إلى هذا الجانب من ضيق المكان، ما خرجت إلَّا وسألت النَّاس هل أحد مرّ عليكم، قالوا: ولا دخل أحد علينا ولا خرج علينا من [حين] وصلت[2] الشيخ فصدقت في نفسي بما قال لي، ثم بعد ذلك جاءني صاحبي في الحلم، أراه في الرؤيا مع ناس تارة وتارة وحده، وكلما رأيت هذا الشخص في النوم ازددت نشاطاً على ما أنا فيه من الجدّ والاجتهاد، ولا أحد ذكر لي أين هذا الذي يطوف علي في عالم الخيال، ولا بيّن لي نفسه حتى أعرفه، ثم قال لي عبد الله الحجَّام سرْ إلى قبر الشيخ عبد السَّلام بن مشيش لأنه أول طريقة الشاذلية على يديه، وقم عند قبره حتى يبان لك صاحبك من هو وأين هو فجئت إلى قبره وقمت عنده نحو أربعة عشر يوماً في رأس جبل حيث قبره عنده المغارة التي دخل عليه الشيخ أبو الحسن الشاذلي[3] فيها، وكذلك شيخه الذي كانت توالت أمداده إليه من المشرق في المدائن[4] وهو الشيخ عبد الرحمن الصغير المدائني[5] رضي الله عنه، كانت تسْري إليه أمداده من يحث لا يدري الشيخ عبد السَّلام بن مشيش، إلى أن حضرت وفاة المدايني جاء هاتفاً من قبل الله إلى الشيخ عبد السَّلام المذكور وعرَّفه بالإمداد التي يجيء إليه من قبله وأوصاف البلاد والعباد، وكانت إقامتي عند قَبْر الشيخ عبد السَّلام

(1) هو صاحب دلائل الخيرات في الصلوات والأدعية وفاته سنة 870 (الأعلام 151/6).

(2) في (م) صلا.

(3) هو إمام الطريقة الشاذلية علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة 656. .

(4) المدينة المعروفة من بلاد العراق على سبعة فراسخ أنظر حولها ياقوت (المدائن) والروض المعطار (526).

(5) كذا في الأصول وفي المفاخر العلية 14 الشريف السيد عبد الرحمن الحسني المدني العطار الزيات والمدني نسبة لمدينته صلى الله عليه وآله وسلم.

في جبل الغلام[1] أربعة عشر يوماً وبانت ليه منه إمدادات وإشارات، وجاءني إليه أناس بالليل، فما أقول: من أنتم، لأجل ربـما يكون من أرض بعيدة «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2].

وفي هذا المكان التقيت مع الشيخ محمد بن علي بن ريسون[3] من ذرية عبد السّلام بن مشيش، ونصبه بإشارته الشيخ الشريف عبد الله بن حسين، نسيت ذلك لبعد العهد بذلك، وهو أعني شيخه شريف في قرية من وراء مدينة مراكش تسمى غربها تامصلحت[4] وأنشدني[5] عن نسبي، فقال لي بعد مراجعة بيني وبينه إلى أن ذكرت له أني من أولاد أبي الوكيل أعني عيسى بن أبي الوكيل فأخذ يذكّرني مناقب أبي الوكيل إلى أن قال وليس لأحدٍ ممّن عرفنا[6] أربعة قبور إلّا هو، فقلت له: وما سبب ذلك فقال كان محبوباً في تلك الجهة وهي أرض قبائل فقبر في قرية فنبشوه أهل قرية أخرى، وعلموا به أهل[7] قرية ثالثة فنبشوه، وعلموا به أهل[8] قرية رابعة فنبشوه، وثارت بين أهل تلك القرى حروب على هذا السّبب، وكان معه ولدٌ وخادم له فقال لهم الخادم أو الولد أنبشوا على قبور

---

(1) كذا في الأصول والذي في ترجمته المذكورة جبل (العلم) من ثغر تطوان.

(2) حديث: رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة به مرفوعاً (أنظر تمييز الطيب 177).

(3) كذا لعل الصواب الريسوني بأداة التعريف منهم حفيده الثائر الشريف أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني الحسني الإدريسي العرُوسي المتوفي سنة 1343 ومنهم الأديب المعاصر محمد المنتصر الريسوني صاحب المؤلفات الكثيرة ومنهم المحدث محمد بن عبد الله أنظر فهرس الفهارس 445.

(4) كذا لعل صوابها (تامدلت) مدينة كبيرة من بلاد السوسو أسسها عبد الله بن إدريس (الروض المعطار 128) وفي الدرر السنية 136 (تاقدمت) والله أعلم وفي فهرس الفهارس تامصلحت كما هو هنا (فهرس الفهارس 445).

(5)سألني.

(6) في (م) عرينا.

(7) في (م) أهيل.

(8) في (م) أهيل.

الشيخ الأربعة لعل الله يرضيكم الجميع، فنبش كل قرية الذي عندهم فوجدوه في كل قبر من تلك القبور الأربعة، وقال لي: هذه أكبر منقبة من مناقب الأشراف المدونة عندنا في المناقب، ثم قال لي: نحن وإياكم أولاد العم جدنا وجدّكم أحمد بن محمد بن إدريس بن الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنّى بن الحسن السِّبط، والناس يسمعون منه ذلك، ونزل من رأس الجبل بدرسته وبقيت أنا في الجبل عند قبر الشيخ أياماً فجاء إلي وأخذ من الشيخ محمد بن علي المذكور خبزاً وعسلاً وفاكهة من الفواكهِ التي توجد في ذلك الزّمان كالبرقوق[1] ونحوه، ومعه ورقة جاء بها وما معه رجل، فقال لي: أنت يوسف أبو يعقوب، فقلت له: نعم، فناولنيها فقرأتها، وفهمت ما فيها من الإشارة، فقال لي حاملها: وما المشار إليه عند القوم قلت له: اسم الجلالة أمرني الشيخ بذكره كل يوم سبعين ألف مرة، وبالليل مثل ذلك، ومن الصّلاة على رسول الله ﷺ مثل ذلك سبعين ألف مرة، وإذا ورد عليك وارد فقل: اللهم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً إلى غير ذلك، ومثل ذلك من أدعية الفرج، وبقيت أنا وهذا الرجل الذي جاءني بالكتاب، وبت أنا وهو، وقال لي: صل بنا المغرب والعشاء، وأنا أصلي بك الصّبح والظهر غداً إذا أحيانا الله تعالى، فصليت به المغرب، فلما سلمت وسلم التفت إليّ وقال: أنت لا بد ما يكون لك شأن ما لم تعجل على نفسك بالظّهور قبل أوانه احذر تغتر بالجاه إذا أقبلت عليك نفوس العوام وغيرهم فإن الفرخ إذا أراد الله فساده حين يدخل فيه روح الحياة يريد أن يخرج من البيضة قبل أوان ذلك فيفسد، وإذا أراد الله تمامه سكن في البيضة سكوناً حتى يتم صلاحه بإذن الله تعالى، وكذلك المريد إذا بانت عليه أنوار العبادة وأقبلت عليه نفوس أهل العقائد بما جبلت أنفسهم على محبّة الأولياء فيقطعونه عن مطلبه الذي هو غاية الكمال ومنتهى الآمال ونهاية سفر الإنسان إلى مولاه بالأعمال الصالحات ورجوعه من سفره من قرب ربه إلى المريدين بالأسرار والأنوار الذي يصلح بها الإفادة لمن قصد الانتفاع بالأولياء، ولا دريت من هو هذا إلى غدوة، ثم جاء إلى زيارة الشيخ قاضي البلاد وهو من ذرية

(1) هو المشمش.

عبد السّلام بن مشيش عالماً[1] كبيراً جاء على فرس، ورأيته يعظّم هذا الشيخ فأراد القاضي أن ينزل على الماء يسقي مركوبه، فقلت له: أنا أسقيه، فقام ذلك الرجل، فأخذ بعنان فرسه أو الحصان، ونزل إلى العين، وهي عين تجري من الجبل، فقلت: من هذا يا سيدي، فقال لي: هذا محمد بن سعيد المصمودي السّياح، وكنت أسمع بذكره وتكلم القاضي بأحواله، وقال لي ودك[2] من يتصل به لأن غالبه[3] في سواحل البحر يتعبد هو فيه، وله إخوان في الله إلا أنه جاء زائراً قبر الشيخ، فلما رجع القاضي إلى مكانه، تحاكيت أنا وإيّاه بكل ما كان مني، وبسبب دخولي في هذه الطّريقة هل هو بالاختيار أم بالقهر والاضطرار فقصّ كل منا لصاحبه بقصته، حيث كانت حالتنا قهرية، فدعونا الله تعالى أنا وهو عند قبر الشيخ أن يبلغ كل واحد منا مراده وأن يجمعنا وإياه عند قبر النبي ﷺ، وافترقت أنا وهو، ونزلت أنا بعد ما زرت شيخاً جاء من الهبط[4] من سواحل البحر اسمه الشيخ منصور بن عبد النعيم الهبطي بتّ عنده ليلة وطلبت منه الدعاء، وقال: ارجع إلى قبر الشيخ عبد السّلام حتى تأتيك الإشارة منه، فرجعت أيضاً وقمت عنده أياماً حتّى رأيت كأن خيالاً جاء إلي من صلاة[5] القبر، وقال: هرول، فسقاني قدح لبن وهو علي فرسه، ونزلت من قبره ووالفت المكان والأنس الذي فيه حتى بكيت، فكان هذا عهدي من قبر الشيخ عبد السّلام المذكور إلى الآن، فلما وصلت إلى قرية الشيخ محمد بن علي بن ريسون بت عنده، وقال لي: صلِّ بنا المغرب فأبيت، فقال لي: صل بنا لأجل أبي الوكيل نتبارك بالصلاة وراء واحد من ذرّيته، ولا تقل أنك أفضل منا، فقلت له: نعم، خفت أنا من ذلك، فكان فيه مراغبة معي وتنزل معي غاية التنزل، مع صغر سني، إلاّ أن الأولياء ينظرون بنور الله صدق أرباب التّوجه إليهم بقلوبهم وقوالبهم، حتى أن أكثر المتمسّكين بالدِّين من أهلي فيهم أمور من قلة العقيدة

---

(1) كذا في الأصول.

(2) كذا لعل صواب الجملة ودك أن تتّصل به.

(3) كذا لعل الصواب لأن غالب وقته في ساحل البحر.

(4) سيأتي ذكرها ص: 51.

(5) من صلاة: من جهة القبر.

في الأولياء الظّاهرين ونخوة منصبهم ورياسة جاههم، فلما رأوا حالي مع أرباب الصّلاح، وشافو حالي يزداد بنظر الأولياء عليَّ أنقادوا[1] للحق حتى كنت لهم السبب في ذلك إلى البر وذكروه للشيخ الكبير عالم ظاهر وباطن اسمه الشيخ محمد بن عبد الله الهبطي وهو خزانة علوم الغيب في ذلك الزمان، وكان يجابرني كثيراً وينظر حالي، إلى أن من تنزله معي إنّي ذكرت له شيئاً من النسخ التي تتضمن أشياء من الأكاسير فتصفحها أياماً وأنا مقيم عنده في أماكنهم من جبال غمارة[2] فلما تصفّحه قال لي: هذه نسخة صحيحة إلا أنا نظن فيك [أن] تكون يدي أكسير كفلان كان إذا احتاج لشيء من الذي لا بد منه، دخل مكانه الذي يتعبّد فيه ويحمي الحديدة أو غيرها ويلقيه في الماء القراح، ويقول: بحقّي عليك يا رب إلا ما جعلته لي كذا وكذا، فينفعل له ذلك، وأنت نظن فيك هذا وأكثر من هذا، فتركت ذلك العلم، وجعلت تلك النسخة في بعض المياه الجارية، وجعلت عليها حجارة كبيرة في ذلك وهي كراريس، فلما عدت إليها بعد زمان وجدت كتابتها على حالها لم يغيّرها الماء، فذكرت ذلك لبعض أرحامي من الذين يقرءون ويكتبون، وطلبوني أخرجها لهم فامتنعت، لعلمي بهم وخِفْت من أهل الفتنة عليهم، وربما يلحقهم بسبب ذلك ضرر من أرباب الشوكة وأيضاً إتلاف أموال على تحصيل ذلك، ولا يدركه، وإنما تفرّس الشيخ محمد بن عبد الله الهبطي لأني كنت ملازم شيخ من بلاد تسمّى دمنات وراء نهر أم ربيع، ووجدته في مدينة مكناس ولازمته وكانت له زوجة من الأندلس وكان حكيماً مقرءاً زاهداً، وكان يسارِرني بأسرار، ويحكي لي بأبواب ما أدري بها من هذا الفن، ولربما هذه النّسخة رآها الشيخ محمد بن عبد الله المذكور [فقال][3] عند مناولته لي: لو كنت أشتغلت لأدركته، فلهذا زهّدني فيها، وأشار إلى قلب الأعيان من الله تعالى لأوليائه من غير عقاقير الذي في كتب أرباب هذا الفن.

وهذا الاسم الذي هو اسم الهبط اسم جهة على ساحل البحر غربي مدينة

---

(1) في (م) أنفاذ.

(2) غمارة: من أخصب جبال المغرب (الاستبصار 190).

(3) ساقط من (م).

فاس وغربي جبال غمارة وكانت قبيلتين تترشحان في الإمامة على أسباب الدُّنيا التي هي غير الدنيا الملعونة وهي من الدنيا التي يقال فيها نعم المال الصالح في يد الرجل الصَّالح[1] والدنيا مطية الآخرة[2]، فلما تركت هذا العلم الذي هو العلم الذي كُنْت اشتغلت به أولاً وتعلقت بطريقة أهل الله والعبادة من عقد لساني وفقد باطني، وقال لي الدادسي ما قال، ثم ظهرت لنا ملازمة الزيارة للأولياء الأحياء والأموات على ما ذكرتهم من لبس الخرقة من أربابها، وعقد الصحبة والأخوة بيني وبينهم، وظهرت في بركتهم بركة صحبة الأولياء الأحياء والأموات، وَسَرَتْ فينا سرايا منهم ظاهرة سيماهم في وجوههم، حتى دخلت في بلاد غمارة على أحد شيوخ الشيخ الذي جالسته وَسَرَتْ لي من حاله ما تفرس في شيخه أحمد الفلالي[3] فلما دخلت عليه تبسَّم في وجهي، وقال لي: أنت من أصحابنا قلت له: نعم فقال لي: إلزم الباب، فرجعت إلى تلميذه الذي نصبه شيخه في حياته، وقال لي عليك بمكان يقال له جبل معدن، واسم هذا الشيخ عمر من جهة تسمَّى بطوية بباء موحدة وطاء مهملة مشددة وواو ويا مثناه تحتيه وهاء[4] جهة معروفة من أعمال المغرب ما بين البحر من جبال غمارة إلى غرب فيها معدن الحديد.

ثم نرجع إلى بعض ما ذكره أرحامي للشيخ الهبطي قالوا له: يا سيدنا نريد منك تشير على فلان يرجع إلى ما كان عليه من تحصيل العلم الذي يعود نفعه

---

(1) حديث رواه أحمد 202/4 وأبو يعلى 1/345 والبخاري في الأدب المفرد 299 وابن حبان 1089 والشهاب 259/2 عن عمرو بن العاص مرفوعاً قال وهو حديث صحيح.

(2) المحفوظ في هذا الباب «الدنيا مزرعة الآخرة» قال السخاوي لم أقف عليه (تمييز الطيب 80) وفي المغني عن حمل الأسفار 19/4 قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً وروى العقيلي في الضعفاء وأبو بكر بن الخلال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمة الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته الحديث وإسناده ضعيف.

(3) في الأصول القلالي بالقاف والإصلاح من عندنا منهم جماعة أنظر: البستان 209 (الفيلالي) ورحلة الورثيلاني 530.

(4) قلت: لعلها بطيوة نسب إليها جماعة من العلماء أنظر: البستان 274 وفهرس الفهارس 224/1 وفي الدرر السنية 126 (بطيوة).

عليه وعلى غيره، فإذا حصل منه ما تقوم به الحاجة يرجع بلاد آبائه وينفع الله به غيره، لأن والده كان لنا كبير، فقال لهم الشيخ محمد بن عبد الله المذكور كيف كان حاله في حال صغره فذكروا الحال إلى حال سفري لطلب ما ذكر على ما تقدم ذكره ثم [قالوا] خرج من تلك الحالة إلى هذه الحالة، فقال لهم الشيخ: ما نعترض على هذا حيث كان حاله على ما ذكرتم، فإن الله أرشده إلى ما يحبّ ويرضاه، فلهذا سكتوا من حالي.

وكأن الشيخ محمد يشير بهذا على ما ذكروه أهلُ التواريخ [و] الأخبار، أنه قيل للحسن بن علي السّبط (سبط رسول الله) ﷺ: أن أبا ذر يقول الفقراء أحب إليَّ من الأغنياء، والسُّقم أحبُّ إليّ من العافية، فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمنى أنه في غير هذه الحالة التي اختارها الله له، وكنت أتردد في هذه الجهة جهات جبال غمارة الهبط على من كان فيها من الأولياء الأحياء منهم والأموات منهم الشيخ عبد السّلام بن مشيش والحاج الشطيبي[1] والشيخ عبد الوارث والشيخ الخزّوي[2] وغيرهم من الأموات، وما واحد من أهل البرزخ الذين قصدتهم للزّيارة من هذه الجهة إلاّ رأينا منه إشارة، نِمْتُ مرة عند قبر ولي من هذه الجهة بعد قراءة ختمه قرآن وسألت الله تعالى أن يريني هذا الرجل الذي يطوف علي ورقدت عند قبره، وهو مكان خالي عن الناس، فكأنما[3] أخذتني عيني إذا أنا برجل يضرب الزّمر أي الرطب[4] وأنا عن يمينه، وأنا وهو متوجّهين إلى المشرق، وأنا معي دفّ، والذي يقابلني متوجّه إلى المغرب ومعه أيضاً دف مثلي كلٌ في حركة قوية على قدر جهده، فيما هو فيه من الهمّة، وصاحب الزّمر كذلك إلى أن غاب بالوجد، وسقط على شقه الأيسر وترك المزمار علي شقّه الأيمن. وبقيت أنا وصاحبي في فعلنا في ضَرْب دفوفنا إلى أن أخذني الذّهن، وجئت من عند هذا القبر إلى قرية الشيخ محمد بن

(1) هو الحاج محمد بن علي الشطيبي المتوفي سنة 963 (الأعلام 163/3).
(2) كذا لعله تصحف من الجزولي.
(3) في (م) فلما كان.
(4) كذا.

عبد الله الهبطي، وذكرت له هذه الرؤيا بالنهار، فقال لي هذا إن شاء الله تعالى حال لا يدرك تنال درجته علي يدي إن شاء الله تعالى لأنه في ذلك الزمان عالم الوقت في المغرب، وذكر من أمر داؤد عليه السّلام، وقول النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[1] ومن الأحياء أيضاً في هذه الجهة الشيخ محمد بن علي بن[2] ريسون، وهو الذي كتب ورقة إلى الشيخ أحمد بن عمر العروسي وكان في بادية يسمّون عريب وراء وادي يسمى وادي دراء[3] بنحو عشر مراحل، وقال لي حين ذكرت له أني دخلت فاس أو مكناس، فيه كلام أرسلت به إليه فقال لي: لا بد لك تلقاه ولو ما بقي من عمرك إلّا يوماً لا بد لك تصافحه بيدك هذه فأخذته منه على قصد كلامه عندي.

وكذلك في هذه الجهة الشيخ محمد أبو شتا ولنا معه منازلات ذكرتها في لبس الخرقة.

وممن أخذت عنه كذلك الشيخ عبد الله بن حسون السلاسلي[4]، وكذلك الشيخ عمر البطوي، وكذلك الشيخ موسى بن علي الرّياحي، والشيخ منصور بن عبد النعيم، والولية الصالحة عايشة الهبطية.

وهؤلاء كلهم في جبال غمارا وسواحل بحرها، وكذلك في أعمال هذه الجهات أولياء كثير نسيت ذكرهم.

ثم حصل وقت نشر العلم والأحاديث في المدينة (مدينة فاس) فرجعت إليها قبل أن يعطوا المفاتيح بالخلوات التي في المدارس ممّن كان معه المفاتيح، وحضر وقت نشر العلم ونصب الكراسي له في المدينة، وكل مفتاحه معه، ومن غاب في الوقت ركّبوا لكل خلوة مفتاحاً فحينئذ ركبت مفتاح خلوة

(1) رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس وأحمد بن حنبل والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة (الفتح الكبير 16/3).

(2) في الأصول باريسون والتصحيح من ذكره سابقاً.

(3) لعله رواه (أنظر الدرر السنية 102). وفي (م) ذرا.

(4) في (م) السلاسي.

للقرآن، ومفتاح آخر لاستعمال القوت، وكلٌ نفقته من نفسه، والذي أخذت مفتاح من مدرسة مصباح لأنها قريبة [1] من جامع القرويين الذي فيه نشر العلم، وعلى ذلك أوقاف للعلماء القائمين بوظائف ذلك، وكان كتابي في الفقه رسالة ابن أبي زيد القيرواني[2]، والذي نقرأها عليه الشيخ أبو القاسم بن عبد الله المقيم الزّموري، وزمور قبيلة كبيرة نحو مدينة فاس، وغيره من المشايخ كالمنجور[3] نحضر عنده في حديث البخاري والحميدي[4] يدرس في كتاب خليل[5] والسراج في تفسير القرآن، وذلك لكلٌ درس حتى لا تفوتنا ساعة واحدة ونلازم مجالس المشايخ الذين في المدينة، كالشيخ السّياح أحمد والشيخ رضوان اللّبان، والشيخ أحمد بن حميده المطرفي وغيرهم، كما ذكرتهم في الرسالة التي دونت فيها من أخذت عنه اليد[6]، وإنما ذكرت هذه النٌبذة لأجل السٌبب الموجب لمجيئي من المغرب إلى الجهة اليمانية ثم الحضرمَية، وكانوا أهلنا في كل سنة ينتظرون خروجنا أنا وولد عمي عبد الله بن عمر بن يوسف بن عمر، وأنا يوسف بن عابد بن محمد بن عمر، فلما كانت سنة من السّنين في هذه الذي ذكرتها من خروجي من عندهم من أرض أنقاد إلى حدود سنة ثمان أو تسع وتسعين من القرن العاشر أصاب زرع بلاد أنقاد ريح أيبسته حين ألحم[7] بالحب والرياح جات له من مشرق أنقاد، ولا بقي فيه شيء، وبلاد فاس ونواحيها إلى

---

(1) في (م) قرية.

(2) من أشهر كتب الفقه المالكي من تأليف الإمام عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني المتوفي سنة 386 طبعت عدة مرات.

(3) لعله المسند العلامة أحمد بن علي بن أبي زيد عبد الرحمن المنجور المتوفى سنة 995 (فهرس الفهارس 521/2).

(4) ذكره ضمن شيوخه في الدرة الفاخرة وهو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحمنيدي الفاسي خطيب فاس توفي بعد سنة 1005.

(5) من أشهر كتب المالكية في الفقه ألفه الشيخ خليل بن إسحق المعروف بالجندي المتوفى سنة 867 طبع عدة مرات.

(6) يعني كتاب الدرر الفاخرة مخطوط قلت: لم أجد المذكورين في هذه الرسالة.

(7) كذا في الأصول.

بلاد تازة سالمة من هذه الرِّياح فدخلوا أهل أنقاد أولاد طلحة بن يعقوب والأحلاف والبرابر والقرى أعني أهل المدن وغيرهم من العرب والعجم، ولا بقي في جهات أنقاد إلاّ من كان مدخراً قوت مكلفه[1]، ومن جملة من دخل أهل أنقاد أهلنا آل أبي[2] الوكيل الذي أخواني وقرابتي منهم، وكثرة النّاس حول مدينة فاس وتنسم[3] عليهم الشريف أحمد[4] سلطان المكان حيث أصاب معايشهم التي هي الزراعة هذه الرياح، وفي هذه المدة طلب كل شريف بإظهار ما في يده من التّمسك بالشّرف أو غيره ممن تحرم عليهم الزكاة وصاحوا في الأسواق برأي السلطان الشريف أحمد صاحب شوكة المغرب ذلك الزّمان، فعرضوا أولاد أبو الوكيل ما في أيديهم من التمسك بأنسابهم حتى أحضروني إلى الشهود، ومن كان في درجتي من أولاد أبي الوكيل، وكتبوني بأني طالب العلم، فقالوا: طالب العلم يوسف بن عابد بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن عيسى بن الشيخ أبي الوكيل، ومن الشيخ أبي الوكيل إلى أناس قبله عليه أربعين شاهداً إلى الحسن السّبط رضي الله عنه ونزلوا عليه أربعين عدل من عدول مدينة فاس المسمّى فلان بن فلان الحميدي نسيت اسمه لأجل طول المدة، واطلعوا هذا المكتوب إلى السلطان أحمد وأنزل علامته عليه، وكذلك ولده شيخ[5]، ولكل شيء سبب ولا طلبوا أهل الأمر بهذا الأمر حتى تبيّن بطون الأشراف بعضها من بعض وغير ذلك من أسباب البحث على هذا.

ثم جاوروا أهلنا حول المدينة إخواني وأخوالي وكثير من أرحامنا في مكان يسمّى واد اللبن[6] وذلك يريدون دور العام المقبل، فخرجت معهم أنا وولد

---

(1) من يعوله من النّساء والأطفال.

(2) في (م) إلا أبو الوكيل.

(3) كذا.

(4) البستان 23.

(5) كذا في النسخ التي معنا وهذا الاسم غريب عند أهل المغرب ولا يعرف إلا عند أهل حضرموت فيُحقق ولد السلطان المذكور في المراجع المعروفة في تاريخ المغرب ولا يحضرني الآن منها شيء.

(6) سيأتي تحديده فيما بعد.

عمي عبد الله بن عمر، وكتب الله أن جاء بهم أجلهم إلى هذا البلاد، فماتت والدتي وإخواني محمد بن عابد وأبو القاسم بن عابد وفاطمة بنت عابد، ولا بقي لي إلاّ أخت تخلّفت بعدهم حتى رأيتها ماتت، وكذلك ماتوا من أولاد عمي أكثر من عشرين، ومنهم خالي علي بن عبد الله هو أكبرهم، وعابد بن محمد بن عبد الله بن عمر، وأولاد خالي عبد الله بن يوسف بن عمر، وكذلك جماعة غيرهم في شهر رجب من تلك السنة، وهي سنة ثمان أو تسع وتسعين في القرن العاشر جاء إليّ خبرهم في يوم واحد حتى من سمع بكاءنا رحمنا، حيث سمعنا نبكي على أهالينا وكذلك جاء إلينا كتاب من خالي عمر بن يوسف بن عمر يعزّينا فيمن مات من أهالينا ووالدتي مثل واحد منهم وإخواني وخالي علي المذكورين أولاً، والذي جاء إلينا بالكتاب من أولاد عمنا يحيى بن عيسى أعطى الكتب لولد عمي عبد الله بن عمر المذكور وأنا كنت في حاجة[1] ورجعت فإذا حاله مقلوب، قلت: مالك في هذه الحالة والعَبْرة خانقتك، وأمّا الذي جاء بالكتاب، قال له: ما نستأنس[2] نقابل يوسف بهذا الخبر الذي انطوى [على] أهل بيته الجميع، وهم خمسة: الوالدة منصورة ومحمد، وأبو القاسم وفاطمة وكلهم ماتوا وفاطمة ماتت وهي عذراء وزهرة مريضة وعيال عمّي وخالي علي بن عبد الله إلى نحو ثلاثة وعشرين ميتاً في شهر رجب، وإذا ولد عمي يلوح لي بالصبر وما جاء للصابرين عند الله، ويذكرني من مات أولاً ونحن أموات أبناء أموات والعَبْرة خانقته حتى أملاني بالوعظ، والورق غمسها، قلت: ما هذه الورقة، قال: سقطت عليّ في الماء حين جئت أتوضأ ولا فيها شيء نأسف عليه من الأخبار، فلما عزمت عليه أن أرى ما في الورقة قبضها، وحكى لي بما فيها ونحن في المسجد تلك الساعة والمسجد مغلوق[3]، ولا يفتح إلاّ وقت الظهر فبكينا، فلما سمعوا بكاءنا وهم عارفون بنا، قالوا: افتحوا المسجد ففتحناه، وحكى لهم بالقصة فبكوا رحمة لي حيث أنهم انقرضوا الجميع ما بقي منهم إلاّ إخوان من

---

(1) أي في قضاء غرض (حاجة).

(2) من عامية حضرموت في ذلك الوقت بمعنى ما نستجريء.

(3) كذا صوابه مغلق.

الأب وبقي خدرهم مطوى فرحموني وبكوا لبكائي، وحكوا للشيخ الذي أقرأ عليه وعزّوني، وعزاني الشيخ وصَبَّرني، وقال لي: هذا سبيل الدنيا يا ولدي، ولعل الله يجعل البركة فيك، وفي ذرّيتك وبقوا مدّة خائفين عليَّ من الخفة[1] أو اللحاق بهم إلى دون سنة وكل من رآني من القبيلة بكى في وجهي، وكل من كان حول فاس في مكان يسمَّى رواغة[2] حول المدينة مدينة فاس إذا جئت عندهم بكوا ورثوا لي من الوحدة وكانوا يتناولون منا خيراً[3] ويسمونا الشجرة الحلوة التي ما يجني منها إلاّ خيراً، أورثنا والدنا بعد موته بالخير بسبب والدتنا منصورة، قالت: ما نقطع عادة عابد بن محمد ولد عمي من كل ما يعتاده النّاس في حياته إلى أن ماتت رحمها الله تعالى هي وعيالها ولا بقي بعدهم إلاّ أختي زهرة بنت عابد زوجها من أولاد يحيى بن إبراهيم، فلما جئت إلى مكانهم في واد يسمَّى وادي اللبن ما بين فاس وقبائل غمارة بينه وبين فاس نحو مرحلة ونصف، وكان من بقي منهم خالي عمر بن يوسف وزوجته وعياله كلهم ما مات إلاّ قليل، وكذلك ناس أحياء من الأرحام غيرهم، ويحيى بن علي بن عبد الله وعياله وناس آخرين، فتفقّدت تركتهم وقضيت ما كان عليهم، وما كان لهم، وتركوا نحو قيمة عشرين [أوقية] ذهباً وميراث أختي زهرة وبشرتها بالخير، وقلت لها: أما تعرفي أخاك ما يلحقكم ضيم الزمان وأنا أسير على وجه الأرض، وأقمت عندها أياماً وعند خالي عمر بعد ما راح منهم التّعب، ثم رجعت أنا وولد عمي وهو ولد خالي عبد الله بن عمر، وماتت أختي زهرة بعدي عند أهلها، وقام بما يتعلق بها زوجها وخالي عمر بن يوسف بن عمر، وتركت ولداً وبنتاً تركتهم عند والدهم عيسى بن جابر من أولاد يحيى بن إبراهيم بطن منهم أولاد زكريا.

وهذا من الأمور التي هي غائبة عن الإنسان لأنهم أرادوا إقامتهم هذه السّنة

(1) خفة العقل (الجنون).

(2) كذا في الأصول بالراء المهملة ولعل الصواب بالزاي المعجمة قبيلة من البربر (الاستبصار 200) وزواغة بلدة من إفريقية من المغرب (الروض المعطار 295) وسيأتي للمؤلف ضبطها صحيحاً.

(3) كأنها صدقة.

التي ماتوا فيها، حتى نخرج أنا وولد عمي عبد الله بن عمر، وكتب الله [أن] جاءت بهم القدرة إلى مضاجعهم رحمة الله عليهم، وكنت أزور قبورهم، نخرج إليهم من المدينة في كل شهر نزورهم، ونقرأ عليهم، وخرجت من فاس وعاد[1] خالي عمر بن يوسف بن عمر مجاوراً عندهم، قال: ما نروح[2] عنهم يتْعبوا بفراقي من المكان لأجلهم تركته حولهم نفع الله به.

والإنسان الميت يتألّم بفراق الحي حتّى قيل لي من أهل الحزمة[3] أحد رأى ولدي محمّد بن يوسف يوم نجعنا عنه إلى حريب[4] تعب فقال له الذي رآه مالك يا سيّدي محمد أنت تعبان فقال له لفراق أهلي تركوني غريب في مقبرة الحزمة، وأنا كنت مستأنس بهم والأموات يتألّمون بفراق أرحامهم من الأحياء لفقد الزيارة والدّعاء لهم والحسنة القريبة تصل إليهم وغير ذلك من الأمور، وأما ما كان قد مات في هذه الجهات من أرحامي حول بلاد فاس وما قرب إليها من أهل البداوة أهل إبل، منهم خالتي أميرة بنت عبد الله بن عمر، وكذلك عمّتي حليمة بنت محمد بن عمر، وكذلك عمّتي من صلاة[5] جدتي غنيمة وعمتي محجوبه بنت علي ماتت كذلك حول هذه الجهات، وكذلك عيال صغار ماتوا نسيت أسماءهم، وأما عمّي عيسى بن علي أخو أبي من أمه مات في بلاد أنقاد مقبور في مكان يسمّى تمزان بتاء مثناة من فوق وميم مفتوحة وزاي معجمة بعدها ألف ونون في مقبرة في مكان خالٍ ما هو[6] عامر إنما عنده قبور، وهذا المكان

(1) عاد: هنا في عامية حضرموت بمعنى (ظل) أو بقي.

(2) نروح: من العامية الشائعة بمعنى نذهب وأصلها راح ذهب أو جاء في الرواح يعني العشي بعكس غدا.

(3) الحزمة: مدينة عامرة من عزلة الجيول والأشراف ناحية وقضاء مارب من بلاد اليمن (انظر التعداد السكاني 21/10) ط. مركز التخطيط.

(4) من البلاد اليمنية تقع بالجنوب الشرقي من مارب بمسافة 100 ك. م أسفل جبل شقير ويتصل بهذه الناحية من شماليها وادي الجوبة من بلاد مراد ووادي عبيدة ومن شرقها ناحية بيحان ومن جنوبها بلاد مراد وقيفة ومن غربيها كذلك (معجم البلدان والقبائل اليمنية 169).

(5) صَلاَ: سبق لمعنى جهة أو ناحية.

(6) أي ليس هو بعامر.

ما بَيْن قرية وجدة[1] وبين رَبانة[2] في صفح[3] جل يسمَّى مقرز بميم وقاف مشددة وراء مهملة وزاي أكثروا في هذه الأرض لزراعة البر والشعير في تلك السنة التي مات فيها عمي عيسى بن علي وزوجته خالتي أميرة المتقدِّم ذكرها، وعميت في آخر عمرها فقبرنا عمي عيسى في المقبرة المذكورة، ونجعنا عنه، وما رجعنا لصرب[4] العمل إلاَّ وعليه علامة بناء، فقلنا لهم: فما هذه العلامة على هذا القبر، قالوا: رأينا عليه نوراً يَظْهر بالليل فَجِئْنا قَبْره وَشَهَرْنا بهذا البناء عليه، ويطرحوا عنده ما لا يحتمل إذا ضعنوا[5] من الماعون الخفيف الذي ما لهم به حاجة وهذا المكان المذكور هو لأحمد بن موسى بن طلحة استكروه[6] أهلنا في تلك السنة على ما مرّ، والماء الذي يشربون منه غيل يسمى سلّي الذي قربة زرارة في أعلاه التي مقبور فيها الشيخ موسى بن عبد العالي الزراري والشيخ طلحة بن يعقوب جدّ أولاد موسى بن طلحة المتقدِّم ذكرهم، وهم شرقي بلاد الفيضة المذكورة وفي أسلي أيضاً قبر ولد عمي عيسى بن علي اسمه أحمد بن عيسى بن علي مات قدام[7] والدي عابد ولم يعقب مات غريب.

وهذا مِمَّا نعرّف به أولادي وبناتي، ومن يريد الإطلاع من الإخوان في الله على سِيْرتي ومن يكون [من] أرحامي في المغرب، ومن مات منهم وأنا في المغرب ومن تركته حيًّا بعد أن خرجت من الجهة المغربية إلى الجهة المشرقية ثم الحضرمية.

---

(1) في الأصول وحده بالحاء المهملة والإصلاح من عندنا سبق وانظر (الروض المعطار 607) قلت: سيأتي ذكرها وتحديدها صحيحاً فيما بعد.

(2) كذا ولعلها زناته أو غيرها.

(3) صفح: سفح.

(4) صَرب العمل: حصاد الزرع الصرب: الحصاد. العمل: الزرع وهو من كلام أهل حضرموت.

(5) في (هـ) و(م) وضعوا والإصلاح من (ت).

(6) استَكْروه: استأجروه.

(7) قدّام (بتشديد الدال): قبل.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من المجاورة لأهل العلم بمدينة فاس، وبدأت بختمة قرآن على المشايخ الذي رصدوا أنفسهم لمن يقصّ عليهم كتاب الله تعالى، منهم: الشيخ إبراهيم المامودي[1] على ما تقدَّم ذكره، وهو عندنا في مدرسة مصباح، وكذلك الشيخ موسى الوجدي من بلاد أنقاد من قرية تسمى وجده شرقي الفيضة، وكذلك الشيخ محمَّد الأندلسي[2] نفع الله بهم وغيرهم من المشايخ نسيت أسماءهم وكذلك أخذنا علوماً أخر منها الرسالة المعروفة لابن أبي زيد القيرواني نقرأها على شيخي أبي القاسم ابن عبد المنعم الزموري[3] وقد تقدم ذكره، وهو من جملة المشايخ المتقدّم ذكرهم، وكذلك في النحو قرأت الجرومية، ونحضر في درس شرح الألفية للمكودي[4] وغير ذلك من العلوم المتقدم ذكرها على أربابها، وهذا الفصل الذي تُنصب فيه الكراسي لنشر العلم هو فصل الشتاء، وهو من طلوع الإكليل مع الفجر إلى خروج سعد بُلع[5] في طالع الفجر، وبعدها ما يبقى إلا تفسير القرآن دائم يقرأ بعد صلاة الصبح، وكتاب خليل يقرأ بعد الظُّهر مستمر الأزمنة لما عليهم من الأوقاف الكثيرة، وأظن والله أعلم كذلك كتاب ابن الحاجب[6] في الفقه، وكذلك كتب أخر تقرأ في أماكن غير جامع القرويين، وكذلك كتب التّوحيد وكتب السِّير، كان يقرأها الشيخ أحمد الزّموري بعد صلاة المغرب من ليلة الخميس إلى العشاء، وكذلك ليلة الجمعة في أيام الشتاء في جامع القرويين، وعلى كل كتاب أوقاف حتى على شرح البردة[7] يقرأ في الجامع المذكور، كنت أحضر عند قراءة من يقرأ البردة

(1) في (ت) الماودي.

(2) في الأصول الأندلوسي.

(3) الأصول: النعيم، والزموري جماعة من علماء المغرب أنظر البستان 216.

(4) هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي المتوفى سنة 807 وكتابه شرح الألفية المذكور طبع في فاس سنة 1318 ومصر سنة 1301.

(5) من النجوم الفلكية (معروف).

(6) هو أبو عمر وعثمان بن عمر ابن الحاجب المتوفي سنة ٦٤٦ وكتابه في الأصول يسمى مختصر المنتهى مشهور طبع عدة مرات.

(7) يعني بردة البوصيري في مدح الرسول ﷺ. وقد شرحها جماعة من العلماء أنظر كشف الظنون: 1331.

وشرحها في أوقات، وربما أجيء إليه ولا نجد عنده إلاّ واحداً أو اثنين، وكنت أجلس معهم لأجل التّبرك وقلة جاه صاحب المدرس، وسألت عنه قال لي بعض الناس: أنه أعلم من أهل الكراسي إلا أن ليس له حظ ولا جاه، فلهذا يكون الجاه الذي يَمْضي به الدين محموداً، والخمول الذي يخفى به الدين مذموماً، كما رأيت بعض الليالي واحداً يقول لي: قل اللهم إني أعوذ بك من جاه يمضي معه الجهل، وأعوذ بك من خمول يخفى معه العلم.

وكانت هذه السنة سنة تسع* وتسعين في القرن العاشر وأنا ذاك ابن خمس أو ست وعشرين في العمر، وأنا في المدرسة أتردد مع قراءة كل يـوم مقرايين إلى أربعة مقاري كل يوم حتى ختمت ختمة على المشايخ المذكورين، وهي آخر ختمة كتبتها من رأسي غيباً على حرف نافع، والغالب رواية ورش لأنها أول ما يستفتح قراء بلادنا من تلمسان إلى فاس ونواحيها بقراءة ورش لنافع.

وكذلك يقرأ في جامع القرويين علم الحساب وعلم المواقيت والنجوم الذي يحتاج الإنسان إليها في القبلة مما يُسْتدل به في المغارب والمشارق مما جرت عادة[1] بمقارنة ذلك عندها لا بها، وأكثر ما كنت أجلس في مجلس ابن مواس فيما ذكره الشيخ أبو مقرع بميم وقاف وراء وعين مهملة في منظومته المشروحة للشيخ الجاديري[2] وغيره من الشروح[3] المفيدة السليمة من الأمور المذمومة التي يحذّر الشرع منها كما ذلك[4] مذكور في العلوم المحمودة والعلوم المذمومة في كتب أهل الاعتناء بذلك من العلماء رضي الله عنهم وجزاهم الله

(*) كذا وهو خطأ لا شك فيه من قبل النساخ لأن اتفاقه بالشيخ أبي بن سالم في حضرموت المتوفى سنة 992 كان قبل هذا التاريخ.

(1) (هـ) العادة.

(2) في الأصول الحاديري بالحاء المهملة والإصلاح من ترجمته في فهرس الفهارس 295/1 وانظر معجم المؤلفين 179/5 وفيه: عبد الرحمن بن محمد الجادري أو الجاديري وفاته سنة 818، ومنظومته في الفلك تسمى روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار منها عدة مخطوطات أنظر: دافيد كنج فهرس المخطوطات العلمية 270/2.

(3) في الأصول الشراح.

(4) كذا لعل صواب العبارة هكذا «كما هو مذكور» الخ.

عنّا بذلك خيراً في الدُّنيا والآخرة، لأني كنت محتاجاً لذلك لأجل خروجي إلى أماكن خالية من العمائر لأجل الخلوات للذّكر وصاحب هذه الحالة يحتاج لأدلة القبلة في خلوته، وأدلة المواقيت للصلاة وغير ذلك مما يحتاج إليه أهل الخلوات.

فلما انقضت المواعيد لدرس العلم ودخل وقت الرّبيع وهو الاعتدال، وتعطّلت المواعيد التي كنا نجلس فيها مع المشايخ، خرجت في شهر صفر الخير من شهور سنة تسع وتسعين في القرن العاشر إلى جهات المغرب الأقصى لرياضة أمرني بها أستاذي الشيخ أحمد بن حميدة المطرفي[1] الشظاظي بشين معجمة وظائين معجمتين بعدهما ياء النّسب قبيلة من قبائل البدو أهل إبل وغنم وخيل، فتح الله على هذا الشيخ وهو من أصحاب الشيخ عبد الله المحجوب عن الشيخ أحمد الملياني منسوب إلى بلاد تسمى مليانة من أعمال المغرب الأدنى مشهورة[2] عن الشيخ أحمد زروق كما ذكرته في لبس الخرقة.

وممن أخذت عنهم ذلك ونقلت[3] في ذلك بيان في نبذة مفيدة سمّيتها «الدرة الفاخرة في ذكر من لقيته من رجال الآخرة»[4] فيها بسط كثير، وكان الشيخ أحمد بن حميدة المذكور صاحب تصريف بالأسماء وغيرها فتح الله عليه بسبب ذلك، وذكرت له إنّي متعلّق باسم الجلالة الله الله أجري الله ذكرها على لساني، وسألته كيف يكون التّعبد بهذا الاسم، فأمرني بكيفيّة التّعبد به وكم تكون وصفة[5] ترتيب من الأعداد وكيفية الاستعداد من لباس ومكان، ومن الروائح الطيّبة اللائقة بأرباب الرّياضات، وكذلك الدّعاء اللائق باسم الجلالة، فأرشدني

---

(1) ترجم له في كتابه الدرر الفاخرة (مخطوط) قال: هو أحمد بن حميدة بن علي بن أحمد بن عبد الله بن الحسن الشظاظي المالكي من أراكين الصوفية بالمغرب الآن لازمته مدة وأخذت عنه الطريق ودخلت في السلوك على يده توفي في حدود سنة 998.

(2) أنظرها في البكري معجم ما استعجم 69 والاستبصار 171 وياقوت (مليانة) والروض المعطار 547.

(3) في (م) فقلت.

(4) مخطوط منه مصورة بحوزتي.

(5) في (م) صفية و (هـ) صيغة.

إلى ما ذكرته له، وتوجّهت إلى مكان خالٍ من العمارة كان يتعبّد فيه الأولياء القدماء مثل أبي يعزى وأبي مدين وغيرهم يسمّى بالجبل الأخضر[1] وكانت طريقي على مدينة بساحل البحر غرب مدينة فاس تسمى سَلا[2] بسين مهملة مفتوحة ولام وألف بعدها فما دريت أهّي مقصورة أم ممدودة[3] مقبوراً في هذه المدينة الحاج ابن عاشر[4] شيخ الشيخ محمد بن عباد شارح الحكم وأمير المؤمنين يوسف بن يعقوب ابن عبد المؤمن[5] الذي خرج من الملك وتجرّد للعبادة وحكايته في سبب خروجه من الملك في المغرب مشهورة، وفي تواريخ أمثاله مذكورة، رأيت بعض ذلك في كتاب الدول المنقطعة وكذلك ذكره الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي[6] في كتابه «روض الرياحين»[7]، وزرت من كان في هذه المدينة من الأولياء الأحياء والأموات، وذلك في آخر شهر صفر الخير من شهور سنة تسعين في القرن العاشر.

ثم توجّهت إلى المكان الذي حول هذا الجبل، فدخلت في خلوة تنسب إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به، فأقمت فيها ثلاثة أيام، وكان معي رجل صالح اعتكف معي في هذا الجبل، ولا تيسرت لي خلوة في هذا المكان على ما أمر الشيخ بها لأنه مزار عند أهل تلك الجهة، فتذاكرت أنا والرجل الذي معي في هذه الحالة، فاتفق عزمنا على الخروج من هذا المكان

---

(1) انظره في رحلة الورثيلاني: 181.

(2) مدينة مشهورة توسع في ذكرها صاحب الروض المعطار 319 وانظر الاستبصار 140 ومفاخرة مالقة وسلا للسان الدين الخطيب ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ص 57 - 69.

(3) قلت في الروض كتبها محققه الدكتور إحسان عباس بالمد وعليه يعتمد وأخرى سلي كتبها بالألف المقصورة وهي غير الأولى بلدة على ضفة النيل.

(4) هو أبو العباس أحمد بن عمر ابن عاشر من صوفية المغرب وفاته سنة 764 بسلا (انظر الأعلام 187/1).

(5) في الأعلام السلطان الناصر يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني من ملوك الدولة المرينية في المغرب اوقصى وفاته سنة 706 (الأعلام 258/8).

(6) من العلماء الصوفية وفاته سنة ٨٦٧ وكتابه روض الرياحين طبع سنة 1286 هـ بمصر.

(7) روض الرياحين 428.

إلى سواحل البحر حول قبر الشيخ أبي محمد صالح الدكالي[1] نفع الله به، وكان عزم صاحبي قبلي وبقيت بعده بقليل في مسجد ذلك المكان نصلي فيه ما شاء الله، ثم جئت إلى الخلوة التي هي لسيدي الشيخ عبد القادر نفع الله به وإذا أنا بحنش كبير. اعترض لي دون باب الخلوة له خلقه كريهة، وله عرق يتركّز[2] ولا بقي لي ممر إلى الدخول في الخلوة لأخذ ما كان لي فيها فعوذته بالله يا هذا إلاّ ما رحت مني لا يقع بيني وبينك شيء، وإن هذه الخلوة خلوة الشيخ عبد القادر الجيلي حتى أراد القتال فحذفته بحجر ولا بالى بهاء ثم قلت له: القتال بيني وبينك ما أنت إلاّ من الجن، وأنا لا أقتلك إلا بعلم لأني فقيه، وبلغنا عن نبيّنا ﷺ أنه قال: إن الله يحب الشجاع[3] ولو بقتل حية[4].

ويروي عنه عليه السلام أنه قال: منذ عاديناكم ما صالحناكم[5] إن كنت من الحناش والحَيَّات، وإن كنت من الجن فلا تجي على صورة الخصم تقتل ولا إثم على قاتلك لقوله عليه الصلاة والسّلام من تزيًا بزيّ غيره وقتل فلا إثم على قاتله[6] أو كما قال عليه السلام، ثم دخل الخلوة وبقيت، أنا حيراناً ساعة، ودخلت في أثره وأنا أقرأ ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[7] حتى دخلت أقصى الخلوة وأنا أحبـوا على يدي في الغَدْرا[8] حتى بان لي الضَو بعد ذلك، فإذا أنا بعرق[9] كأنه عِرْق شجرة لاصق بالجدار جدار الخلوة، ومَسَته بيدي، وعلمت أن ذلك لطفٌ من الله بي، ثم

---

(1) أنظره في رحلة الورثيلاني: 22.

(2) يتركّز: ينتصب والعرق معروف من الإنسان وهو الشريان.

(3) في الأصول الشاجع.

(4) لم أجده.

(5) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند 247/2.

(6) قال في المقاصد وتمييز الطيب 164 وكشف الخفاء والألباس 312/2 حديث من تزيا بغير زيه فقتل فدمه هدر ليس له أصل يعتمد وحكايات الجان المروية عن النبي ﷺ لم يثبت منها شيء.

(7) سورة التوبة، الآية: 51.

(8) الغدرا: الظلمة (سبق).

(9) عرق: جذر.

أخذت ما كان في الخلوة وخرجت أثر صاحبي إلى أن آواني اللّيل ووجدت جماعة فيهم فقراء، وسألتهم هل مرّ عليكم فقير قاصد دكالة[1] قالوا: لا، و[كان] معهم فقير من فقراء الشيخ أحمد بن عمر العروسي الذي كتب إليه الشيخ محمد بن عمر بن ريسون، وقال لي: لا بد لك تصل إليه تلقاه وتصافحه وأنا استبْعدت كلامه لبعد الجهة التي هو فيها وعدم اللجوء[2] [إلى] عزمي إلى تلك الجهات وهي مفاوز ما تقطع إلاّ على مطايا مستعدّة لذلك المفاوز، فقال لي ذلك الفقير: أنت شريف مبارك وتتعَبَّد في أماكن الأولياء، ولم تعرض نفسك على صاحب الوقت[3]، قلت له: ومن صاحب الوقت، قال لي: الشيخ أحمد بن عمر العروسي ثم الغمري[4] بطن من بطون قبائل بالمغرب، ثم قلت له: وأين هو اليوم في هذه الجهات، قال لي: أدخل مدينة مراكش تزور من كان فيها من الأولياء من الأحياء والأموات مثل القاضي عياض[5] والشيخ أحمد العريف[6] والشيخ محمد بن سليمان الجزولي والشيخ أبو عمر، وغيرهم من المشايخ ثم أخرج مع من خرج من الأبواب التي يخرج منها إلى وادي درا ثم لا بد لك تجد من يسيّرك إلى البدو الذي وراء وادي دراء وهم قبائل يقال أنهم من بني هلال خلق كثير يسمون عَرِيْب بفتح العين المهملة وكسر الراء بعدها مثناة من تحت

---

(1) دكالة: اسم لقبيلة بربرية وولاية من ولايات المغرب الأقصى يحدّها من الشمال والغرب المحيط الأطلنطي ومن الشرق نهر أم ربيع ومن الجنوب ولاية مراكش أنظر مشاهدات لسان ابن الخطيب ص 150 تحقيق الأستاذ أحمد مختار العبادي.

(2) في الأصول: اللجا.

(3) صاحب الوقت وصاحب الزمان والحال: في مصطلح الصوفية هو المتحقق بجمعية البرزخية الأولى المطلع على حقائق الأشياء الخارج عن حكم الزمان وتصرّفات ماضيه ومستقبله إلى الآن الدائم فهو ظرف أحواله وصفاته وأفعاله فلذلك يتصرف في الزمان بالطي والنشر وفي المكان بالقبض والبسط انظر (معجم مصطلحات الصوفية) 147.

(4) في (م) القمري.

(5) هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي من أشهر علماء المغرب وفاته سنة 544 أنظر: وفيات الأعيان 391/1 وغيره.

(6) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي صاحب كتاب محاسن المجالس توفي سنة 526 (وفيات الأعيان 54/1).

ساكنة، ثم يا موحدة، فكان الأمر في حالي والانزعاج بسبب إشارة هذا الفقير المبارك الناصح، فتوجّهت إلى مدينة مراكش.

وفي هذه المدة وجدت في طريقي إلى مراكش علماء وفقراء وأولياء وقرّاء لأن دين الإسلام قويّ ما تجد جهة من جهات الأرض في هذه الجهات إلاّ وتجد فيها الفقير والفقيه والمقري والصالحين العالمين المحبّين وأهل الخير ويتوسّمون في النّاس خيراً فللّه الحمد على وسع دين الإسلام، وأكثر الفقراء اليوم في زماننا هذا في المغرب تغلب عليهم طريقة الشاذلية، وتوجّهت من مراكش مع قوافل تخرج إلى وادي دراء، وسرت معهم نحو عشر مراحل، ووصلت الوادي المذكور وفيه قرى كثيرة، وأرض تلك الجهة أرض جريد نخل كثير فيها وهذا الوادي عظيم فيه نهر يخرج من جبل وينزل بين جبال وعليه نخيل ومزارع في أرضهم، وأمّا أنا إلاّ عابر سبيل إلى أن أنتهي هـذا النّهر ولا وجدت في آخر الجهة التي يسقي بهذا النهر نخلها وزرعها شربة ماء، وهو وادٍ فيه عمائر كثيرة واطلع النخل وعليه من الثمرة الأولى كثير، فقلت لهم في ذلك: فقالوا كثير معنا أخذنا طيباته[1] ثم قلت لهم: هذا عليكم فيه لوم من الله تعالى حيث ما تخفّفوا عن عمّتكم النخلة[2] مما عليها نبّهت[3] أناساً منهم، ثم قلت لهم: وإلاّ مكّنتوا من كان محتاجاً من أهل البدو، فقالوا لي ما يرغبوا فيه البدو، وهذا الثّمر فيه ربّ كثير ما يوكل إلا بمسالٍ[4] وشوك من كثرة رُبِّه وهذا النهر الذي في وادي درا سأل عنه الشيخ محمد البكري[5] أيام وصولي إليه وهو في مصر على ما أذكر تاريخ ذلك عند وصولي إياه قال للمغاربة: هل أحد منكم وصل إلى وادي درا كرّرها عليهم ثلاث مرات ولم يرد أحد من المغاربة جواباً عليه في ذلك، فقلت له: يا سيدي أنا في هذا الشهر وهو ربيع الثاني من شهور سنة إحدى[6] وتسعين في القرن

(1) (م) طيابته وفي (ت) مطايبه.

(2) حديث أكرموا عمتكم النخلة رواه أبو نعيم في الحلية والبزار في مسنده عن علي به مرفوعاً وفي سنده ضعف وانقطاع (تمييز الطيب 30).

(3) في (هـ) أنبهت.

(4) مسال: جمع مسلة إبرة كبيرة معروفة.

(5) سيأتي ذكره. (6) يحقق هذا التاريخ فقد سبقه ذكر سنة 999 فلعله خطأ من النساخ.

العاشر، وأنا دخلت هذا الوادي لزيارتي لمن فيها من الأولياء وفيما بعده من الجهات، قال الشيخ: كيف خروج هذا النهر، قلت: يخرج من جبل كأنه مزن وينزل بين جبلين وعليه قرى على يمين الوادي وعلى شماله وعليه نخيل كثير ومزارع على ما تقدَّم ذكره، فسكت الشيخ ساعة كأنه عرج بروحه والناس سكوت، ثم كأنه أفاق، وقال: الآن وصلته فوجدته كما قلت وهذه من كراماته التي وقفت عليها منه.

وفي هذه الجهة علماء وأولياء أحياء وأموات وخُطبٌ وجمعات صَلَّيت معهم الجمعة على خطبتنا[1] هذه وعلى ترتيب الصَّحابة رضي الله عنهم، وفي آخر هذي الوادي قبر يسمى صاحبه أبو إسحٰق الحبشي، ويقولون إنه صحابي زرته وجلست عند قبره فجاءوا خُطَّار من الرمال التي مثل المفاوز يريدون البدو الذي أنا أريدهم لزيارة الشيخ أحمد بن عمر[2] المذكور، وساروا وتبعتهم وهم ما يريدون مسيري معهم خيفة علي من الظَّمأ لأنها خبوت[3] خليه فاجتمعنا عند فقراء أهل خدور في أسفل الوادي المذكور ما وراهم إلَّا الخبوت الخليَّة مفازه لا ماء فيها ولا عماثر، فلما كان آخر الليل عزموا أهل المطايا على المسير، وقالوا للفقراء الذي بتنا عندهم: اقبضوه منا لا يموت من الظَّمأ حيث رأوا بُعْد المدينة، وقالوا: هذا ما هو متعلم المشي في هذه المفاوز، فلما اقفوا[4]، وبقيت أنا إلى قرب طلوع الفجر عند الفقراء فقالوا اتبعهم بالأثر لما شافوا[5] فيَّ من الرغبة لزيارة هذي الشيخ المذكور، وكأنهم لهم فيه عقيدة وأعطوني وعاء حافظاً للماء وقالوا بركة الشيخ التي جئت إليه وهي بلاد تسمى التّل بالتاء المشددة واللام

(1) أي خطبة الجمعة عند أهل السنة من الترضي على الخفاء الأربعة الراشدين ثم ذكر العشرة المبشرين بالجنة على خلاف قاعدة الشيعة في ذكر الخمسة أهل الكساء ثم الصحابة.
(2) يعني العروسي السابق ذكره.
(3) جمع خَبْت وهو ما اطمأن واتسع من الأرض.
(4) اقفوا وقَفَّوا: أي رحلوا وأعطوه أقفيتهم.
(5) شافوا: نظروا (سبق).

بعدها ويقابل التل أرض صلة[1] بلادنا من المغرب، فيقال تلي أو صحراوي[2]، فيقال من أي كذا وكذا، فيقال من بلاد كذا كبلاد أنقاد ونحوها لأن التل جبال وزرائع وأمواه كثيرة وأرض أرياف بخلاف الصّحراء فإنها أرض مفاوز وقفار، حتى يقال في الأمثال المغربيَّة فقال الجمل للثور سر معي ترعى من الأشجار التي ما هي في تلك فسار الثور معه فتعب الثور من قلة الماء وقال شعراً:

يـا ويـلي عـلى تـل تـلال يـزار أخـضـر..
عـيـن بـارده تـجـري ويـأتي إليهـا الثـور يتبختـر[3]

فَتَبِعت الخطار[4] بالأثر ووجدتهم مقبلين تحت الطلح في الخبوت ومعي ماء، وقالوا: يا فقير ما هو بغض لك إلّا خفنا عليك، فقلت لهم: لا تخافوا عليّ فأنا معي نيَّة صالحة في هذا الشيخ، فسرت أنا وإياهم نحو ثلاث مراحل وافترقنا نحن وأهل المطايا ولا بقينا إلا على أرجلنا نسير، وفرغ الزاد والماء ولا نأكل إلا اليرابيع والضبوب[5] والورر[6] الذي يسمى في [جهات][7] حضرموت بالأروال[8] هم يأكلونه، وأنا لم آكله وقالوا لي: قالوا علماؤنا أنه حلال وهم مالكية[9]،

---

(1) كذا في الأصول.
(2) في الأصول سحراوي بالسين.
(3) كذا في الأصول وليس بأيدينا ما نضبط به هذا الشعر.
(4) الخطار بضم الخاء الرّحل أو المسافرون.
(5) جمع ضب الحيوان المعروف جمعة على غير قاعدة لغوية وإنما يجمع على أضب وضباب وضبان ومضبّة ولم أجد من جمعه على ضبوب كما هو هنا قلت في كلام المؤلف كثير من العبارات العامية بحكم الخلطة للعوام وقلة العلماء في ذلك الوقت وخاصة بادية حضرموت حيث عاش المؤلف هنالك وكأنه كتب هذا الكتاب لمخاطبتهم.
(6) كذا في (م) وفي (ت) الورر وفي (هـ) الورود ولعله الورل.
(7) ساقط من (م).
(8) في (هـ) الجروال.
(9) في حياة الحيوان اليربوع حلال أكله لأن العرب تستطيبه وتأكله قال عطاء وأحمد وابن المنذر وأبو ثور وقال أبو حنيفة لا يؤكل لأنه من الحشرات دليلنا (يعني الشافعية) أن الصحابة أوجبوا =

فقلت لهم: ما هو في أرضنا ولا الضّب إلا أن علماءنا أهل فاس قالوا أن الضّب أكل في زمان النبي ﷺ ولا نهي عن أكله[1] فأنا إذا ما كفاني حصتي من اليرابيع واحتجت إلى أخذ الضّب أخذت حد كفايتي منه وأما الورل ما نأكله[2] ولو متّ جوعاً لأني أعافه فكانوا يخصّوني بلحم اليرابيع[3] وهم يأكلون الضّب والورل[4] ووجدنا في هذه المفاوز تعباً كثيراً حتى كانوا الخطار الذي أرادوا يمنعوني من المسير معهم نفعتهم بحمل ثيابهم وسيوفهم لمّا تعبوا من الظماء والجوع، وأنا متعهد[5] الجوع والعطش في رياضات دخلتها على يد المشايخ إلا أنهم يعرفون الطّرق، فلما قربنا من بعض المياه، قال لي: يا فقير هذاك مكان الماء، وأنت فقير ما أحد يقول لك شيء، ونحن مطلوبين من القبائل فسرت وهم يتبعوني بالأثر، فوصلت المكان الذي فيه الماء وطفت عليه ما وجدت أحداً ورد عليه وأخذت من الماء ملا مسبّ[6] ولقيتهم به، ثم أخذنا من الماء ما يكفينا وسرنا دون البدو ليلة بتنا دونهم، ووجدنا طرف البدو وأول ما جينا إلى أناس يعرفونهم دون جماعة الشّيخ، ومكنوا أهل هذا الحي أن يسير أحد منهم معي يصلني[7] إلى الشيخ وعرفوهم بحالي حيث أحسنوا ظنهم بي فسار بي واحد إلى الحي المذكور حتّى دخلت على الشيخ أحمد المذكور آخر النّهار وفرح بوصولي إليه كثيراً وأردت أن أقبل قدمه فأبى وقال: لو تركنا قدمنا يقبّلها مثلك ما جاءت إلينا الأقدام يشير بذلك إلى التواضع مع الله تعالى وينزّل الناس منازلهم، ولكل

= فيه جفرة إذا قتله أو أصابه المحرم وإن الأصل الإباحة إلا ما خفي بالتحريم (حياة الحيوان 409/2).

(1) حديث الضب لست أكله ولا أحرمه رواه ابن عباس عن خالد بن الوليد أنظر البخاري 201/6 وغيره.

(2) في (م) ما نأكله وفي (هـ) بأكله.

(3) في (م) الجرابيع.

(4) كذا في (م) و(هـ) وفي (ت) الورر.

(5) متعهد: معتاد.

(6) المسب في كلام أهل اليمن وعاء كبير من الأدم أو الخوص.

(7) كذا صوابه يوصلني.

مقابلة من المشايخ الوافدين عليهم على قدر أحوالهم وما تقتضيه المراتب لقوله عليه السلام «أنزلوا الناس منازلهم»[1] فأقمت عنده نحو خمسة عشر يوماً في أطيب حال وأنعم بال، ناولته ورقة الشيخ محمد بن علي المذكور وكان [قد] ذكر له فيها كلاماً رجز على صفة الخفر[2] آخر بيت من أبياتها أو بيتين (به تمام نصاب صوبه العالم) قلت وقولي صواب يا سيدي بن سالم هو عام صب[3] ونسيت تمام البيت، ولا سألت الشيخ عن هذا المعنى.

وكانت بيني وبينه منازلات ومطارحات ومكاشفات منه على قدر ما في ضميري، وأخذت منه اليد كما أخذنا من مشائخه، وقال لي حين استخلفت[4] منه وسار معي ينفذني مع خُطّار[5] افتح فاك ففتحته فقرأ ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ثم نفخ في فمي ثلاث نفخات، وقال لي: لا تفتح فاك إلا في المكان الفلاني، ودعا لي بالبركة.

فهذا آخر منتهى سفري في بلاد سوس الأقصى.

ثم توجهت [إلى] البحر وجعلت جبال سوس على يميني والمفازة على[6] يساري، متوجِّهاً للبحر المحيط، وذلك لزيارة شيخ شيوخنا الشيخ أحمد السياح، وفي هذه الجهة عمائر وعلماء وأولياء يتعاطون التصوف إلا أنَّ اللغة العربية ما يعرفونها[7] ما يتكلم بها إلا من دخل بلاد الغرب مثل فاس ومراكش ونواحيها من الّذين خالطوا[8] بلاد الغرب فلو أراد العربي أن يسأل عن حاجة ولو شربة ماء أو

---

(1) أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة انظر الفتح الكبير 280/1 وكشف الخفا 241/1 ومفتاح كنوز السنة 28.

(2) كذا. لعل صوابه الجفر بالجيم.

(3) كذا والعبارة مضطربة في جميع النسخ.

(4) استخلفه من عامية حضرموت بمعنى استودعه وطلب منه الأذن بالسفر.

(5) خطار: زوار أو ضيوف دعامية عند أهل حضرموت.

(6) أي عن يساري والنحاة يجوزوا تناوب حروف الجر بعضها البعض ما لم يتغير المعنى.

(7) هنا (ما) النافية أي لا يعرفونها.

(8) في الأصول خلطوا أو الإصلاح من عندنا.

طلب عيشاً أو خبزاً مثلاً ما يفهموا كلامه إلا بترجمان، وكان مسيري إلى الجانب الغربي، إلى أن وصلت قرية الشيخ أحمد بن موسى السياح، لأني أخذت اليد[1] من الشيخ أحمد السياح نزيل فاس، وهو أخذ عن شيخه الشيخ سعيد بن أبي بكر، وهو أخذ عن هذا الشيخ أحمد بن موسى المذكور، والشيخ أحمد بن موسى أخذ عن الخضر عليه السّلام، هكذا قال لي شيخي أحمد السياح نفع الله به، فأقمت[2] عندهم ما شاء الله تعالى وجابروني فقراؤه ونسيت هل للشيخ نسل أم لا.

ثم توجّهت إلى جهات البحر وعلى ساحل البحر عمائر، وفي تلك العمائر من أهل الخير والصّلاح ومحبتهم للفقراء والمساكين خصوصاً من ينتمي إلى طريقة الصوفية الشاذلية وإلى طريقة الشيخ أحمد بن موسى المذكور، لأنهم انتفعوا به أناس، منهم في جهاتهم الشيخ سعيد النجار المذكور، وله أتباع بلغنا خبرهم في جهاتهم ووجدت فقراء ممن ينتمي إلى سعيد النجار المذكور.

ثم جئت إلى مدينة ماسة[3] خالية وفيها أماكن حتى قالوا: هذا الجرف[4] فيه ريح اليقطين من ريح الشجرة التي أنبتها الله على نبيه يونس بن متى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، والبحر يَضْرب مع زيادته إلى هذا الجرف وإذا رجع البحر بقي الجرف ما فيه ماء وتجد رائحة اليَقْطين وهو القرع كأنه [قريب][5] عهد وأنا ممن شممت[6] ذلك في ذلك المكان، ولا يوجد في غير ذلك المكان لأنهم جاؤوا معي فقراء يزورونه معي ويحكوا[7] ليّ بالأماكن التي

(1) أخذ اليد هنا كناية عن التلقي.

(2) في الأصول فقمت.

(3) نهر ينسب إلى المدينة من بلاد السوس الأقصى بالمغرب وعلى مصب هذا الوادي رباط مقصود له موسم عظيم أنظر الروض المعطار 522.

(4) الجرف: المغارة في الجبل.

(5) ساقط من (م) و(ت).

(6) في (م) و(ت) شميت.

(7) أي يخبروني.

يتبركون بها النّاس ثم توجهت إلى وادي ترودانت[1] من أودية سوس الأقصى، وهو وادٍ يصبّ في البحر وعليه قلعة أهل الإسلام على شاطيء البحر المالح عند مصبّ النهر في الماء المالح، فأدخلوني القلعة وطلعت مع الجند الذي فيها وإذا هي حاكمه على البحر الجميع والبحر تحتها، وفيها مدافع منصوبة إلى جهة البَحْر مقابلين بها العدو فصَلّيت ركعتين في رأس القلعة، ودعوت الله تعالى بالنّصر والتأييد لعزّ الإسلام وخذلان العدو، ولو لم يتوسّموا فيَّ خيراً ما أطلعوني رأس القلعة لئلا يظنوا أنّي جاسوس عليهم من الكفّار. وسرت من عندهم متوجِّهاً إلى جهة مراكش، لكن أخذت على شاطيء البحر إلى أن وصلت دير فيه عابد من عبّاد المغرب، وهو شيخ كبير من أصحاب الشيخ سعيد النجار، وأقمت عنده ليلة وكلمته ولا ردّ علي كلام إلاّ إذا غفل أو التفت نظرت إليه وإذا غفلت نظر إليَّ، وهكذا مدة مجلسي عنده مع الفقراء إلى غد وفعل معي مثل الأول ما فعل بالأمس إلى أن آيست من كلامه، ثم قلت له: الفاتحة يا سيدي لنا فقرأ لي الفاتحة، ولا قال لي كذا ولا كذا إلا أن أصحابه قالوا لي نحن معه في هذا الدّير نحو كذا وكذا ما رأينا الشيخ فعل مع أحد هذا الفعل الذي فعل معك، فقلت لهم أخاف أنه رآني ظُلْمَة أو رأى كذا وكذا، فقالوا: ما نظن هذا فيه إليك بل رأينا [أن] جاءه الطائع والعاصي ما قابل أحد منهم مثل ما قابلك به، وكان فيهم فقيه فقلت له: يا فقيه فلان أنا إن شاء الله مقيم في مسجد الأبدال، وكان هذا المكان إلى جهات مشارقهم نحو مرحلة أو مرحلتين فإذا برز منه في حالي[2] كلام أرسله إليَّ حتى أسير به إن كان مما يدخل السّرور أو غيره نبّهنا عليه فنستغفر الله ونرجع إلى الحق، ثم توجهت مقبلا إلى هذا المسجد مسجد الأبدال، وهذا المسجد كانوا يتعبّدون فيه الأولياء الأولين مثل الشيخ محمد ابن عربي الحاتمي وغيره على ما ذكر عند الشيخ ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن[3] حيث ذكر الخضر هل هو حي أو ميّت واستدل على حياته بهذه الرواية، قال: جاء الخضر يصلّي في

(1) كذا في (م) و(هـ) وفي (ت) ترو أنه ولم أجدها.
(2) أي في شاني.
(3) أنظر لطائف المنن 81 ط مكتبة القاهرة.

الهوى في هذا المسجد فصلّى معه ابن عربي بصلاته هو وتلميذه، فلما أوجز الخضر في صلاته قال الشيخ محمد بن عربي المذكور هذه الأبيات شعراً:

شغل المحب عن الحبيب بحبه[1] في حبّ[2] من خلق الهواء وسخره
العارفون عقولهم معقولة عن كل كون ترتضيه مطهرة
فهم لديه مكرمون وعنده أسراره محفوظة ومحرّرة

أو كما قال الشيخ رضي الله عنه، فقال له الخضر: أني ما فعلت هذا إلا أن الذي معك ما يؤمن بكرامات الأولياء وإن من ترك هواه سخر الله له الهواء وأنا الخضر وضَرَب عليه الحجاب أو كما قال، ثم قال الشيخ محمد بن علي المذكور لصاحبه الذي معه ما تقول في كرامات الأولياء قال ما بعد العين أين[3]، هذا معنى الكلام وكان هذا [المسجد][4] عند قبور أولياء قدماء مذكورين نسيت أسماءهم، وعند هذا المسجد عين في طرف البحر، وعند العين صخرة كبيرة إذا زاد البحر غطّى الصّخرة التي تحتها العين في وسط الماء المالح وإذا[5] نقص البحر أو بقي الماء إلا ضحضاحاً نحو [أن] يصل الماء إلى السرة للداخل [إلى] العين وهي فوّاره نضّاخة تدفع الماء المالح بقوّة النّضخ، ولا يعرفها إلاّ من تعبد في هذا المسجد من الأولياء ولا دَلّني عليها إلاّ الشيخ أحمد بن عمر العروسي، وهو ممن كان يتعبّد في هذا المسجد من المتأخرين من الأولياء، وأمرني بالإقامة فيه أياماً على ما أودع الله فيّ ونَسَيْت حكاية الحنش الذي جاءني في خلوة الشيخ عبد القادر الجيلي في الجبل الأخضر وكان الأولى ذكره قبل هذا المكان لكن ما ذكرت [إلاّ هنا][6] سألته عنه فقال لي: هو جان اسمه فلان من أصحاب الشيخ عبد القادر يمتحن الباب من جاء يتعبّد في خلوة الشّيخ

(1) لطائف المنن بسره.
(2) في الأصول يحق والإصلاح من اللطائف.
(3) كذا في الأصول وفي اللطائف ما بعد العيان ما يقال.
(4) ساقط من (م).
(5) في (م) إلى.
(6) ساقط من (م).

عبد القادر، فإن وجده ثابتاً تصوّر إنساناً يَخْدمه فيما يحتاج إليه، ثم ذكرت له ما جرى بيني وبينه.

ثم إرجع إلى ذكر مسجد الأبدال، فأقمت فيه سبعة أيام متوالية وظهر لنا فيه من أنوار الذّكر والدّعاء والصّيام والعزلة عن النّاس أشياء كثيرة ما كنت أعرفها قبل تلك المدة إلى أن جاءت امرأة زائرة لهذا المَسْجد ولمن حوله من قبور الصّالحين فأرادت دخول المسجد فغلّقت الباب دونها، وقلت لها إن أردت الدخول للمسجد خلّيني أخرج من المسجد فإذا خرجت فادخلي فيه، قالت أريد الاتفاق بك فغلبت[1] أنا وقلت لها ما أنا جالس هنا إلاّ أصابني[2] ألم أريد مجيء العافية إن شاء الله تعالى ببركة من صلّى في هذا المَسْجد من الأولياء، فراحت[3] مني وقبلت عذري، فلما كان من الغد فإذا أنا بعبد لها جاءني بخبز وعسل، فلما سار من عندي العبد وقبلت ما جاء منه خرجت من المسجد، وتوجهت إلى مدينة مراكش بعد إقامة سبْعة أيام فيه، وكان هذه المسافة ما بين مسجد الأبدال ومدينة مُراكش عمائر كثيرة مرّيت[4] عليهم أيام حصاد زَرْعهم البرّ والشعير، وفي أهلها عقائد لمن توسّموا فيه خيراً وفيهم زوايا وفقهاء ولا نبات ولا نظل[5] إلاّ عند أهل هذا الفن من الفقهاء وأهل الزّوايا[6] عيال المشايخ الأولين، وهم على مناصب آبائهم من محبّة الخير واصطناع المعروف إليهم، إلى أن دخلت مراكش وأظن والله أعلم أني مَرَرْت على مكان كان يتعبّد فيه الشيخ أبو العباس السبتي[7] نفع الله به وأقمت في مدينة مراكش أياماً أتردد على من فيها من الأولياء وأهل الصّلاح والعلماء وأهل الدّرس للفقه والأصول، وكل أرض في هذه الجهات وجدت الأمة فيها من هو قائم بواجب فرض الكفاية الذي يقوم عن أهل الجهة

---

(1) غَلَبَ: أبى.

(2) كذا وفي العبارة اضطراب.

(3) ذهبت عني.

(4) مَرَرت.

(5) من بات وظلّ (معروف).

(6) أي أحفاد المشايخ الأوائل.

(7) هو أبو العباس أحمد السبتي من العلماء الصوفية وفاته سنة 602 ومقامه بمراكش.

ويسقط عنهم الفرض بسببه فلله الحمد والمنة على قوة الإسلام ثم خرجت متوجهاً إلى مدينة فاس وزرت قبر أبي يعزي الذي نبشوه[1] أهل قرية تاغية بتاء مثناة من فوق بعدها ألف وعين معجمة ويا مثناه تحته وهاء، وقبر في هذه القرية بعدما قبر في القرية التي مات فيها ونبش منها وهي قرية قريبة من مراكش إلى شراقيها[2] بنحو مرحلتين أو أقل وحيث[3] من هذه إحدى طرق وادي يسمّى وادي العبيد نهر كبير ما يعبر فيه إلاّ من أماكن معروفة وإلاّ غرق فيه، إلاّ من كان يحسن السباحة، قالوا وهذا النهر هو حد بلاد سوس إلى مغرب مراكش إلى حدّ الساقية الحمراء، وما وراءها إلى بلاد السودان وقالوا صومعة وراء السّاقية الحمراء فيها يتعبّدون العُباد، فأردت الوصول إليها وأنا في أيام إقامتي عند الشيخ أحمد العروسي، قالوا لي إنها أعني الصّومعَة بعيدة وغالب الكفار في البحر يخرجون إلى البرِّ يتصيّدوا للمسلمين، ثم أن هذا حد سوس من المشرق وحدّ مدينة فاس من المغرب وادي العبيد، ودون فاس إلى بلاد أنقاد حدّها من المشرق والله أعلم، ثم دخلت قرية ما بين وادي العبيد ووادي أم ربيع وهي إلى نهر ربيع أقرب لنا بأولاد الشيخ أبي الوكيل، ودخلتها وأنا مستخفٍ، ودخلت المسجد آخر النّهار وصلّيت معهم المغرب وقريت معهم الأحزاب التي يقرؤونها بين العشاء والمغرب، ثم سألوني فقالوا من أنت فورّيت عنهم ساعة، ثم ألحّوا عليّ في السُّؤال حتى ذكرت لهم إني من أولاد عيسى بن أبي الوكيل، فقالوا لي لم أخفيت نسبك، فقلت لهم لأمرين أحدهما أن الناس ينتسبون[4] بأهل الخير لغرض دنياوي ينالهم بسبب ذلك، والأمر الثاني لأنكم تظنون إنّا على طريقة آبائنا والأرض تغيّرت علينا بسبب الفتنة التي وقعت بين القبائل الذي [أنا] فيها فتذاكرت أنا وإياهم طريقة القوم لعلي أجد نفحة من نفحات الأولياء على المريدين، إلى أن وصلت إلى عندكم لطلب ذلك، وذكرو لي سبب خروجنا منهم، وقالوا لي الكبار منهم كيف يكون لك عمر بن إبراهيم قلت لهم أنه جدي أنا يوسف بن عابد بن محمد بن عمر، فقالوا منذ مات عمر ما جاءت إلينا

(1) كذا ولعل هذه اللفظة من العامية في ذلك الوقت.

(2) أي شرقيّها.

(3) كذا ولعل العبارة غير مستقيمة.

(4) الأصل: يتسحون.

أخباركم، وكانت إذا بلغت البنت عندنا لا بد من أن نستشيره في زواجها[1] إذا كان عندهم من هو محتاج إليها، وكذلك هم، وذكرت لهم الجهة وما حدث فيها من الفتن حتى انتقلوا إلى نحو فاس ونواحيها، وكان فيهم أي أهل القرية ولد الشيخ محمد بن أبي القاسم، عرف بصاحب اللطيف، كان هو ودرسته وأصحابه يذكرون اسم اللطيف بهذه الصِّيغة يا لطيف يا لطيف نحو سبعين ألفا كل يوم، وولده على طريقه والده، ولهم في هذه الجهات جاه وعقيدة فيهم كبيرة، وسألته عن الرجل الذي ذكره لي الدادسي يوسف، ولا أجد أن أحداً من الأولياء ذكر هذا القول إلا أنني أرى في بعض الأحيان في النوم رجل يطوف عليّ ولا أراه ويَظْهر لي بعد رؤيته نشاطاً في الطاعة، فتعجبت من هذه الحالة حتى قال لي: أن مطلبك هذا قليل من يتصرّف فيه من أهل الزمان، ولا يقع مطلوبك إلاّ من اللّه، وأما زيارة الأولياء وحسن الظن بهم ممن يستعان به على المطلوب الذي تطلبه لحديث «أدعوني[2] بلسان لم يعصني به قط، قيل ومن هو يا رب قيل لسان غيرك لك» لا سيّما دعوة أهل الصلاح ولا بقي عليه في زماننا معول إلا دعوة أهل الصلاح بعضهم لبعض، وزار قبر والده وأنا معه وأتى إلي بتمر زوّدني إياه، وقالوا لي: أهل القرية ما قبل[3] أحد من الزوار إلا أنت لعله رأى فيك خيراً، ولقنني جملة أسماء من أسماء الله تعالى الحسنى، وقال لي رتّبها[4] فكنتا أرتّبها أياماً امتثالاً لأمره، ثم كثرت علينا الرّواتب المأثورة عن النّبي ﷺ فكان المأثور أولى من غيره.

ثم توجهت إلى مدينة فاس وعبرت[5] على الشّيخ محمد الشرقي دون مدينة فاس، وهو حيّ في مكان دون وادي أم ربيع، ثم توجهت لزيارة أبي يعزى في قرية تاغية المذكورة أولاً فزرته ورأيت منه بشارة وسِرْت من عند قبره إلى بلاد مكناس ووجدت العهد بـمن صحبناه من الأحياء والأموات ودخلت مدينة فاس

(1) الأصل: زواجتها.

(2) لم أجده.

(3) الأصل بتّل من عامية أهل حضرموت بمعنى أرسل.

(4) أي أقرأها.

(5) عَبَر: بالتحريك مرّ.

إلى شيخنا أحمد بن حميدة المطرفي المذكور الذي أمرني بذكر رياضة الجلالة، وذكرت له ما كان علي مكتوب من الخُطا والرزق إلى أن وصلت إلى ما تقدّم ذكره، فبقي هو يتعجب في القضاء والقدر وكانوا[1] أهْلي ينشدونه[2] عني ويقول لهم: إنه محفوظ عليه، فجددت عهدي به وبمن كان في المدينة مثل الشيخ أحمد السَّياح، وكل من كان لنا به خِلطة في مدينة فاس من أهل الصَّلاح وأهل العلم الظاهر كذلك، ولا سألني أحد منهم أين كنت لأجل الأدب وحسن الظَّن ربّما يقولون إن هذا ممن صحب رجال الغيب[3] لمعرفتهم بحالي وتجرّدي عن الأسباب المانعة لذلك.

ثم توجهت إلى زيارة قبور من مات لنا في وادي اللبن وهم والدتي وإخواني وإخواتي وأرحامي على ما تقدم ذكرهم وكذلك جَدّدت العهد بخالي عمر بن يوسف بن عمر وزوجته ابنة عمي عائشة بنت محمد، وأولاد خالي وبنات خالي فقمت عندهم ما شاء الله، ثم وصلت بعدهم إلى جبل سلاسل[4] من جبال غمارا[5] وجددُت عهداً بالشيخ عبد الله بن حسون والشيخ محمد أبو شتاء واستراح الشيخ محمد أبو شتاء بوصولي إليه بعد تلك الأحوال التي جرت لي منه ذَكَرْتها في لبس الخرقة فيمن أخذنا عنه ذلك من الأولياء، وكذلك الشيخ عمر البطوي بالباء والطا المشدّدة المهملة ثم بعدها واو وياء النّسب ينسب إلى جهة من جهات المغرب على شاطيء البحر، وعندهم معدن الحديد، ورجعت من عندهم إلى من كان من أرحامنا حول مدينة فاس حالين[6] في زواغه بزاي معجمة وواو وغين معجمة بعدها هاء حول مدينة فاس حولها بساتين ولا يزال أحد من أولاد يحيى بن إبراهيم بن أبي الوكيل في هذا المكان إلى الآن، وهم ممّن

(1) كذا على لغة «أكلوني البراغيث».

(2) يسألونه.

(3) رجال الغيب: هم الصّوفية أهل العبادة.

(4) في (م) سلاس.

(5) غمارة: من قبائل البربر (سبق).

(6) حالّين: ساكنين حلّ في البلد: سكن واستقر.

يسمع نداء الظّهر في يوم الجمعة في فاس، وهم أهل خدور قاطنين لا يرحلون شتاء ولا غيره إلاّ من قرب إلى قريب وكنت أنا وولد عمّي عبد الله بن عمر بن يوسف وهو فقيه حافظ إذ أضاقت أحوالنا من المدينة نَخْرج إليهم أنا وعبد الله بن عمر المذكور، ونقيم عندهم اليوم واليومين ونحو ذلك، ونرجع إلى المدينة إلى مدرسة مصباح لطلب العلم، ونفقتنا من أنفسنا إذا دخلنا المدينة، ثم تذاكرت أنا والشيخ أحمد بن حميدة المذكور في زواجة، وذكرت له أن أهلي يريدون أن يزوّجوني بنت عمّي عمر، وبنت خالي اسمها حليمة بنت عمر بن يوسف بن عابد بن محمد بن عمر فوالدها أخ لأمي من الأم على ما تقدّم ذكره، ووالدتها عائشة بنت محمد بن عبد العزيز ابن زكريا بن يحيى بن عيسى بن أبي الوكيل أخو عائشة عبد الرحمن بن محمد، لأنهم أهل ثروة من الدنيا وزهرتها، وأنا متجرّد من أسباب الدنيا وشاورت مشايخي الذين هما سيدي عبد الله بن حسّون، وسيدي أحمد بن حميدة المذكور وقالوا لي :كم مهركم فقلت لهم: كيت وكيت، فقالوا لي: كم فيه مقدّم وكم فيه مؤخر فذكرت لهم ذلك، فقالوا لي المقدّم نعينك فيه والمقدم عندنا ثلاثين أوقية مصفى والمؤخر سَبعين أوقية يبقى ذلك المؤخر ديناً في ذمتك، وأذنوا لي في الزواجة، وأنا أول مرة أستأذنتهم في التّزويج، فلم يأذنوا لأن عادتي في مجاهدة النّفس، حتى قال لي الشيخ عبد الله بن حسون ما تقدر على نفسك وزوجتك تكون معها في تعب فبقيت مدة أياماً في مجاهدة لنفسي وأذنت لواحد من أولاد خال البنت وهي حليمة، بنت عمر والذي أذنَتْ له في زواجها محمد بن عبد الرحمن ولد خالها ووالده ولد عمّتي حليمة بنت محمد، ونحن قرابة بعضنا البعض وبلغت أختها وطلبني خالي عمر لها حتى شاورت المشايخ المذكورين فيها فإذ نوالي واستأذنتهم بعد هذا في رياضة الفاتحة لما فيها من الفوائد الذي تميل طباع النّفس إليها مما يلائم طباعها من الملاذ، والنّفس مولعة بكل غريب، فلما رأيت خصائصها وما الذي يلازم قراءتها أعني الفاتحة، وما يضاف إليها من أودعية وكذلك من أسماء الله الحسنى على نظر المشايخ، وأخذ الأذن منهم، وكيفية التلاوة للفاتحة، وما يتعلق بهذا الفن من شرائط العكفة[1] فادخلني الشيخ الرياضة، وأمرني أن أتخذ حرزاً فيه

(1) الإعتكاف.

سورة الأنعام بتمامها من غير أن يطمس منها حرفاً بالزعفران، وماورد ومسك، وهو وفق الفاتحة المعشَّر الحرفي، وهو معروف عند أهل الفن وأمرني أن أتخذ بخوراً يليق بعوالم الفاتحة وأمرني أن أمكث في الخلوة نحو ثلاثة أسابيع أو أربعة أسابيع، وذلك في خلوة تعرف لإبراهيم بن أدهم في رأس جبل زرهون[1] وهو معروف بالمغرب، ففعلت ما أمرت به وذلك في شهر الله رجب.

وأما الشيخ عبد الله بن حسون لم يوقت عليَّ أياماً إلا أنه قال لي سِرْ مع[2] الله حيث سارت معك رياح القضاء، ثم قال لي: أرسلناك في رياضة قبلها أربعين يوماً فما جئت إلا بعد أربعة أشهر سارت بك رياح القضاء وهذه المرّة ما ندري ما يكون الأمر لكن سر كما قيل[3]:

اتبع رياح القضا وسر حيث سارت
وسلّم لسلمى ودر حيث دارت

أو كما قال، وكان لي في بعض الأوقات مجلس خاص مع الشيخ أحمد السياح المذكور.

وتذاكرت أنا وإياه في حال الرجل الذي يطوف عليَّ في النّوم، ولا أحد ذكره لي ممن يشار إليهم من أهل المغرب الذي وقفت بين أيديهم إلاّ ما ذكره الدادسي يوسف، والشيخ محمد أبو شتاء وإنما سُمّي أبو شتاء لأن الشتاء عند أهل تلك الجهة يطلق على المطر عندهم، فإذا احتاجوا السقي شيء من أرضهم من الأمطار جاؤوا إلى عنده وجعلوا له شيء للفقراء والمساكين على يديه، ويجيء إليهم ما طلبوا من الأمطار، فلذلك سمي أبو شتاء وله كرامات غير هذه بالتّصريف في الأكوان، قال لي: ما نأخذ فقراء الناس حين أرسلني إلى رجل في مكان بعيد منه اسمه علي وسَمّاه الشيخ عَلّال فقيّده، وقال له كم لك شارد منّا فأرسلنا لك من يأتي بك يا فلان، ثم فتح الله عليه على ما قيل لي بعد أيّام وأطلقه وأمره بالنزول إلى مكان كذا وكذا لينتفع به الناس، وقال لي الشيخ أحمد

(1) من بلاد فاس انظر الدّرر السنيّة: 51.
(2) سِرْ: أمر من السّير معروف اي اسر.
(3) كذا في الأصول وهما غير مستقيمين.

السيّاح المذكور صاحبك هذا ما حواه غرْبنا[1]، وإذا أردت أن نَحْلف لك بين المنبر والمحراب الذي نَخْطب فوقه في جامع القرويين فعلت، فلا تتعب نفسك في المغرب.

ثم توجّهت إلى زيارة الإمام إدريس بن إدريس الأكبر، وهو جدّنا لزيارته ولزيارة الشيخ عبد الله الحجام فزرت الأجداد الأدارسة، وأما الشيخ عبد الله الحجام ما وجدته في تلك المدّة، وكان في زيارة للشيخ أبو سلهام والشيخ عبد الجليل قبورهم على ساحل البحر، وقد كنت أتعبّد عند قبورهم أياماً ولياليا مع عبّاد، ثم طلعت الجبل للخلوة التي أمرت بالدخول فيها، وهي أي الخلوة في رأس جبل أظنّها بنيت بقصد الشيخ إبراهيم بن أدهم، فنسبت إليه واستفتحت الرّاتب على ما أمرني الشيخ أحمد المذكور، وبقيت على هذه الحالة إلى اللّيلة الثالثة من العَكْفة[2] بعد صلاة المغرب، وجلست وأنا متكيء أتلوا الفاتحة ودعاء لها من الأدعية السّالمة[3] من الأسماء العجمية بل كلها عربية، ولا فيها ما ينكره الشّرع من الاستحضار لخدّامها على ما ذكره صاحب كتاب الأسرار اللائحة[4] للشرجي فبينما أنا أتلو[5] الراتب، فإذا بصوت كالرّعد الذي يخشى منه من شدة الصوت، وأنا متكيء أرتب[6] الفاتحة ودعاءها، فقعدت وخرجت من الخلوة فإذا صاحب ذلك الصّوت [قد] التقيت أنا وإياه عند باب الخلوة ومسّ قفائي، فقلت له: اذهب يا لعين، ثم رجعت إلى الدعاء وأنا خارج الخلوة، وكان ذلك الدعاء في لساني تلك الساعة يا هادي المضلّين لا هادي للمضلين غيرك ثم زَنَدْت[7] النار

(1) الغرب: الدلو (معروف).

(2) الإعتكاف (سبق).

(3) المسَلَّمة (الخالية).

(4) كتاب الأسرار اللائحة هو المسمى «الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة» من تأليف العلامة أحمد بن أحمد الشرجي المتوفى سنة 893 (أنظر كتاب مصادر الفكر الإسلامي 23) ومنه مخطوطه بالمتحف البريطاني.

(5) في (ت) و(م) اقتلوا.

(6) في الأصول ترتب والإصلاح من عندنا.

(7) في (م) و(ث) زنت والإصلاح من (هـ).

وأعلقت[1] شمعة كانت معي، ودخلت الخلوة ورَتّبت الدعاء من الورقة التي فيها الدُّعاء ورجع لي صاحب الصَّوت فإذا هو يدور حول رأسي، وله صوت هائل ولكنه دون الصَّوت الأول وجرمه صغير مثل العصفور أو أصغر منه وفوق الجرادة إلّا أنه أشبه بالجراد، وكان حولي ماء قليل أتَطَهَّر منه فأصبح ذلك الماء كما قال الله تعالى: ﴿يصبح ماؤها غوراً﴾[2] فوجدت رجل قبلي على الماء، فقال لي: ما سبب غور هذا الماء ما أصبح اليوم فيه ما يتَطهّر به الإنسان فتيمَّمت لصلاة الصبح، وعلمت أن العَكْفة[3] بطلت لعدم الماء الذي يتَطهّر به فيها للصَّلوات الخمس وغيرها، فهذا سبَب نزولي من الجبل وقلت أنا أثر على الخلوة في غير هذا المكان.

وكان مسيري إلى مدينة مكناس[4] وكانت على الشيخ موسى بن علي صاحب الصخرة الذي لقب بهذا الاسم فوجَدْته ضَحْوة ذلك النهار، وأضمرت أني آخذ منه ما بدا منه لي في أول المفاجأة، فلما وقفت على الباب خَرَجْت إليَّ جارية وأعلمتها أني أريد الشّيخ، وقد كف بصره في آخر عمره بالعمى الزنجي ترى عيناه صحاح ولا يرى بهما شيئاً فخرج إليَّ وحدثته، ولا قال لي من أنت، ولا من أين جئت إلا أنه قال الناس حجّوا وأنت كذا وكذا هَرْول هرول، ونفض يديه يا فلانة [أي] على الجارية أدخليني أدخليني! والجارية واقفة، وأنا مشير إليها بالسكوت حتى نأخذ منه الإشارة ففهمت الإشارة منه، وكان هذا سبب خروجي من الخلوة بسبب صاحب الصَّوت.

ثم دخلت مدينة مكناس أيضاً واتفقت بشيخنا أحمد القناوي نفع الله به، وكانت عقيدته فيَّ صالحة وتوسم في خير، من جملة الدّرسة، وفي قراءتي عليه عقد لساني وفقد قلبي، وأنا في سورة المائدة نقصَّ عليه كما تقدَّم ذكره قريباً، وطلب مني الدّعاء، فقلت له: هذا كله من بركتك يا سيدي جزاك الله عنا بذلك

(1) أعلق الشمعة: من العامي بمعنى أشعلها.

(2) سورة الكهف، الآية: 41.

(3) الاعتكاف (سبق).

(4) بلد مشهور في المغرب (سبق التعريف به).

خَيْراً، ثم قلت له: نحب من فضلك إذا جاءك أحد من أهلنا فأعلمهم بي أني توجّهت إلى القبلة إلى وادي تفلالت[1] بتاء مفتوحة مثناه من فوق وفاء مكسورة ولام مفتوحة بعدها ألف وتاء ساكنة، بينهما وبين مدينة فاس نحو عشر مراحل وهي في جهة قبلتهم وقبلة فاس أن تجعل الجدي على يسارك متوجّهاً إلى جهة المشرق، وسرت من مكناس أخذت طريق رأس في وادي فقيق[2] وسرت نحو ثمانية أيام في عمائر ومفاوز، وفي هذه المفاوز أسود ضواري الله حرسني[3] منها إلى أن دخلت تفلالت.

وقد ذكرت لبس الخرقة والرحلة وما وقع في هذا السفر الذي هو من مكناس إلى تفلالت من حكاية الأسد الضاري وكذلك حكاية اللص الذي تبعني من قرية إلى مكان خالٍ يريد قتلي وَظَنّ أنّي تاجر فحماني الله منه، فوصلت وادي تفلالت المذكور لزيارة ولد شيخنا الغازي نسيت ذكره عند رسم هذه السِّيرة عند ذكر الرحلة[4] ولبس الخرقة، فلما وصلت إلى قريته لم يأذن لي بالدخول إليه إلاّ بعد ثلاثة أيام أو نحوها ثم أذن لي بالدّخول عليه وأستعذر مني، وقال: كنت أرمد يا فلان، قلت له: يا سيِّدي لو ما اذنت لي إلاّ بعد شهر ما وجدت في نفسي حرجاً في ذلك، فدعا لي وأوصاني بالتقوى، وقال لي: الله الله في التقوى، فإن الله تعالى يقول: «وإياكم أن اتقوا الله»[5] كرَّرها علي مراراً، وكذلك: «اتقوا الله ويعلمكم الله»[6].

ثم خرجت منه إلى شيخ آخر حول مكانه له تلامذة ذكرته في رسالة الرحلة وما وقع بيني وبينه، ثم خرجت من عنده إلى زيارة الشيخ عبد الرحمن الملقب بمن لا يخاف إلا الله تعالى، فوجدته في حال القيلولة عند عياله، وما وجدت إلاّ طلبة العلم كل على حالة فتطهَّرت وصليت ركعتين في المسجد ونمت، فجاء الشيخ على عادته لصلاة الظهر، وأعلموه بي فأمرهم أن يأتوا إليَّ ويخبروني

(1) من بلدان المغرب أنظرها في رحلة الورثيلاني 72.
(2) كذا في الأصول في قيق وسيأتي للمؤلف ضبط هذا الموضع.
(3) في الأصول منهم والإصلاح من عندنا.
(4) في (م) الراحلة.
(5) سورة النساء الآية: 131.
(6) سورة البقرة الآية: 282.

بخروج الشيخ فوجدوني نائماً وأرادوا قيامي من النوم فما دريت أين سارت نفسي في تلك الساعة إلى أن قال الشيخ عبد الرحمٰن المذكور: اتركوه حتى يقوم بنفسه بعد ما أقعدوني، يريدون بذلك لعلي انتبه من هذه الحالة حالة النوم، ولم ترجع إلي روحي إلاَّ بَعْدُ، ثم استيقظت من تلك الحالة بنفسي، وكان أصابني عرق كثير بحيث يسيل مني وخرج إلى المسجد فجاءوا بقدح ينزفون ذلك العرق السائل من جسدي وذلك مما لحقني من تعب ذلك الرجل المدعي لما لا يعرف لما ادعى له، فلما قمت وتطهّرت وأخذوا ثوبي طلبة العلم وغسلوه من العرق بإذن الشيخ عبد الرحمن المذكور، وجئت إليه، وسلمت عليه وسألني ما سبب هذه الحالة، فحكَيْت له ما وقع بيني وبين ذلك الرّجل فقال لي: يا ولدي دجاجيل تأتي بعد النبي أكثر من ثلاثين دجّالاً ولربما يكون هذا منهم، ثم ذكرت لسيدي الشيخ عبد الرحمن إن جاهك في مدينة فاس كبير عند العلماء والملوك، وأنت مقبول الكلمة عند الملوك، وذلك الزمان كان مـلك فاس ونواحيها إلى تفلالت وغيرها للسلطان أحمد وهي سنة تسعين في القرن العاشر والسّلطان أحمد له نيّة صالحة في الشيخ عبد الرحمٰن لورعه وديانته، وكان الشيخ عبد الرحمن قد حج واتفق بالشيخ محمد البكري وأخذ اليد منه وسألني عمّن أنتمي إليه من المغرب، فقلت له: من أولاد أبي الوكيل من أهل أنقاد والفيضة المعروفة، فقال لي: كيف يكون لك عمر بن إبراهيم، فقلت هو جدّي فقال لي من أيّ بطن منهم، فقلت له: أنا يوسف بن عابد بن محمد بن عمر، ثم تعجّب من الحال، وقال لي كيف وأنتم الذي كانت تهاجر الطلبة إليكم للتفقّه في الدين واليسر في المعيشة عندكم، واليوم صرتم تَطْلبوا ذلك عند غيركم، ثم قال: وأنا ممن قرأ علي من قرأ على جدّك عمر بن إبراهيم المذكور، وذكرت له السّبب الموجب لفساد الجهة بالفتنة التي ثارت بين أولاد طلحة بن يعقوب وتعَصّب القبائل مع كل أحد من أولاد طلحة بن يعقوب على ما ذكر أولاً حتى قَلّت الهيبة في قلوب هذه القبائل لأهل الزّوايا المباركين مثلنا ومثل غيرنا على ما بلغكم خبرهم، وإني سرت في المغرب على طوائف ممن هو متزيي بزي أهل الصلاح ويدّعي التصرف في الأكوان باللّمة وغيرها لعلي أجد نفحة تجي بها آثار أسلافنا فما وجدت إلاّ كل أحد يدّعي العجز عن الطّلب الذي كانوا يتعاطونه الأولون

بالتصريف بالهمة في الأكوان فقال لي: هذا معدوم اليوم، ثم ذكر لي الإقامة عنده فقلت له أريد المشرق قال: الحج قلت له ما معي آلة الحج قال لي: إلى أين تريد قلت: نشاورك في زيارة الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري وما دريت أن الشيخ عبد الرحمن المذكور قد حَجَّ قبل فقال: نعم أما هذا فلا نردك منه لكن لا تسأل الناس تقع في المحذور لأن السؤال ما حذر الله من الفواحش إلا هو، ولا يجوز لمسلم السؤال إلاّ عند ضرورة كبيرة وما جاء إليك من غير سؤال إقبله، ولا تجيء حول أبواب الملوك والأمراء ثم خابرني مخابرة مليحة، وقرأت عليه من أول البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً﴾ الآية وأنا وهو في صوت واحد على عادة القراء الذي كنا نقصّ عليهم من الألواح يقرؤون معنا في صوت واحد ويرون كيف يكون مخارج الحروف من أفواههم وصيغة المدّ والقصر وغير ذلك وسألته عن قراءة الجن الذي كانوا يقصّون عليه[1] قراءتهم فقرص أذني يؤدّبني [وقال:] ماحملك على هذا يا ابن أبي الوكيل وهو قابض بإذني ويفحسها بيديه الكريمتين، وهو يضحك تبسماً، ثم دعا لي بالبركة، وقال إذا أوصلك الله إلى الشيخ محمد البكري فسلّم عليه منّي كثيراً كثيراً ويدعوا لنا، وناولني ما فتح الله من الدّراهم، وقال خذ هذه تستعين بها على بعض حوائجك في الطريق وأمر أحد الفقراء أن يسيروا معي إلى امرأة صالحة عجوز أرسلني إليها، وكأنه توسّم فيَّ خيراً أو كأنها قالت له: يا سيِّدي أنت تجيء إليك الأخبار إذا توسّمت في أحد خيراً أرسله إلي لأن النساء ما يتصلن بما يتصل الرّجال، فلما وصلت إليها طلبت مني الدعاء، وأنا كذلك طلبت منها الدّعاء قلت: ما أرسلني الشيخ إليك إلاّ لأنال قليل دراهم وقالت لي: تستعين بها في سفرك هذا، وادعوا الله لي بحسن الخاتمة، والثبات عند الموت بتلقين الشهادة وغير ذلك من المنازل الذي ما ينفع فيها إلاّ صدق معاملة العبد مع الله والاستعانة بدعوة أهل الصّلاح، ثم رجعت إلى حيث جئت إلى رأس وادي فقيق[2] بفاء مكسورة وقاف بعدها ياء ساكنة وبعدها قاف وادي نخيل فيه كثير[3] وفي أعلاه

(1) في (م) و(ت) عليهم.

(2) يرد ذكره في فهرس الفهارس 899/2 فكيك بالكاف.

(3) كذا. .

قرية الشيخ عبد الرحمن الفقيقي شيخ شيوخي الذين أخذت عنهم اليد منهم الشيخ عبد القادر بن محمد بن سماحة الحمياني الذي سيجيء ذكره قريباً إن شاء الله، وزرت قبر الشيخ عبد الرحمن المذكور وعلى قبره جلال من الهيبة حتى قلت[1] في بعض الأوقات، وأنا جالس قبيل[2] وجهه ففزعت من الهيبة حتى قلت له: يا سيدي عبد الرحمن قابلني بالأنس لا تقابلني بصفة الجلال، فأني ما أتحمّل ذلك لضعف تركيب مزاجي وكبر حالك، وقبره في قبور بعيدة من القرية.

ثم سرت من هذي المكان مع زوار إلى بلاد الشيخ عبد القادر الحمياني المذكور قريباً وقمت في المكان حتى وجدت زائرين إليه من وادي فقيق على حمير تشتغل بالأسفار، وكان هذي الشيخ في مكانه ووقع بين قبائل الجهة حرب واعتزل منهم في مشارق أراضيهم بنحو خمس مراحل بينه وبين فقيق، وكان خبر هذي الشيخ يصل إلي وأنا في مدينة فاس، وكنت أتمنّى لقاءه لما يوصف لنا من أحواله من تلقين الذكر للمريدين والأخذ عنه، وهو ينسب في الخرقة إلى الشيخ عبد الرحمن الفقيقي عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني عن الشيخ أحمد زروق، وأضمرت في نفسي أن لا أحكي لهذا الشيخ بحالي ولا من أين جئت إليه هذه السنة، ولا أذكر له نسبي إن كان على ما يقول فقراؤه أن لا بد يطلعه الله على حالي، ومن وقفت بين يديه من الأولياء في سفري هذا الذي وصلت فيه إلى دون الساقية الحمراء التي هي أقصى بلاد سوس في المغرب، فلما وصلت إليه مع الزوّار، ودخلوا عليه الزوّار قبلي، ودخلت أنا في مكان آخر أريد أتطهر من تعب سفر الليل وننظر ما يحدث من الشيخ في أمري فلما تصفحهم ولا وجدني معهم، قال أين الشريف الذي جاء معكم فقالوا ما جاء معنا شريف إلاّ رجل عليه هيئة البداوة، فأرسل إليّ من يأتي بي، فقال لي الرسول: أجب الشيخ فجئت إليه فقام في وجهي وسلّم علي سلام محبّ لمحب، وهم[3] كما قال الله تعالى في نبيه يوسف: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ فقالوا لي لم أخفيت نسبك وأنت شريف، فقلت من رأس[2] الشيخ أولى من

(1) كذا.

(2) الضمير يعود إلى رفقته.

(3) كذا في الأصول.

ذكري لكم ذلك لئلا تصيروا في محذور [و] منكم من يصدق ومنكم من يكذب أو نكلفكم ما لا تطيقون أو يهون عليكم الشرف فكان السكوت أحب إليَّ حتى جاءت من الشيخ، فكنت مهان عندهم وعند الشيخ عظيم القدر، فأخذت المقعد عنهم أعني مقعد الشيخ رضي الله عنه، وقال الشيخ كلاماً رضي الله عنه من جملته كان يساءلني عن فلان وعن فلان وعن الأماكن التي وصلت إليها، ومن لقيته من الأولياء في تلك الأماكن إلى أن وصل في البحث عليَّ يسألني[1] عن صاحب الصومعة الذي على ساحل البحر المحيط، فقلت له ما وصلت إليه لأجل البعد عن المكان الذي وصلته، قال لي: أنه قريب من ذلك المكان نحو نصف يوم، فقلت له: ذكروا[2] لي الذي يرعون في شطوط المفاوز أهل إبل أيام الشتاء حيث الإبل تصبر على الظماء لكن قالوا لي: الكفار لا يزالون يتصدون للمسلمين في هذاه الأمكنة وإن للكفار في هذه الجهة مراسي يرسون فيها المراكب ليسرقوا أطراف البدو الذي يرعون حول ذلك المرسي، فقال الشيخ: ذلك الذي في الصَّومعة ما هو منّا يا المغاربة[3] وإن عليه درك في هذا المكان وهو من أولياء المشرق فقلت له والله يا سيِّدي ما أحد سألني عن الذي سألتني ولا أحد درى إلا الله ولا حكيت لأحد من الناس لا قريب ولا بعيد إلا حيث سألتني عنه فقال لي والله ما تحركت ولا سكنت إلاَّ وعيني عليك أو كلام ما في هذا معناه، وكان عنده واحد يريد السَّفر، فقال له الشيخ أقم عندنا إلى غدٍ فإنهم وافدين علينا زوّار كثير ومعهم شريف طاف بلاد سوس يحكي لنا بأخبار تلك الجهة، وأنت تسمع والسُّؤال من الشيخ والجواب منّي عليه، وذلك الرجل يسمع، فلما قام الشيخ قمت معه إلى منزلة فقام إلي الشيخ وذكر لي الراتب الذي من الشيخ أحمد بن حميدة المذكور، وكان الراتب نحواً ثلاثة عشر اسماً أو أحد عشر اسماً من أسماء الله

(1) كذا ولعل صواب العبارة «إلى أن وصل البحث إليَّ فسألني عن صاحب الصومعة» الخ.
(2) كذا على لغة أكلوني البراغيث.
(3) يا المغاربة: أي أيها المغاربة هنا ياء المنادى تستعمل في عامية حضرموت بمعنى (كافة) أو جميع.

الحسنى المأمور بالتعبّد بها، فقال لي الشيخ: خذ منها خمسة واترك الباقي فقلت له أذكرهم لي الجميع واعطني ما اخترت لي منهم فعدّهم لي واحداً واحداً واختار لي خمسة أسماء، وأمرني بالملازمة لتلك الأسماء الخمسة مع كل فرض مائة منها أيام الإقامة عنده، ثم توسّم في غلبة ذكر الجلالة عليّ والتعلق بها فأمرني بذكر الجلالة دون ذلك الخمسة الأسماء، فأقمت عنده أياماً في أطيب حال وأنعم بال مع طلبة العلم والفقراء ويقرأ بين يديه كتاب البخاري بعد صلاة العصر إلى إصفرار الشّمس، وطلبت منه العزم إلى المشرق، فطلب مني الإقامة عنده وتحت نظره فرأيت نفسي مولعة بالمشرق، فقلت له يا سيِّدي رأيت نفسي سائرة إلى المشرق كما يسير السّحاب في الهواء، فقال لي الأمر كـذلك فأخذ ثيابي والبسني ثياباً دون ثيابي في الرثاثة وناولني عكازاً وبرنصاً[1] ومسبحة وكوفية، وقال لي هذا لباسك مني خرقة التصوف، وخرقة الإشارة كما ألبسني شيخي عبد الرحمٰن الفقيقي، وكما ألبسه شيخه أحمد بن يـوسف الملياني المنسوب إلى بلاد تسمى مليانة معروفة في مشارق بلادنا دون تلمسان إلى المشرق، وتوجَّهت إلى المشرق مع أناس وجَدْتهم عنده من مشارق الأرض في خبوت وعمائر إلى أن دخلت مدينة قابس[2] في آخر شهر رمضان ووجدت في هذه الطريق ما بين بلاد الحمياني وقابس جهات معمورة فيها قرى وأوقاف الحجاج ثلاثة أيام إقامتهم في ذلك وبـدوهم فيهم خير معهم أناس متمسكون بالصلاح من آبائهم وأجدادهم، حتى جرت لي قصة في هذه الجهة، فسرت من قرية إلى المشرق وقالوا أهل هذه القرية أن هذه القرية آخر القرى المعمورة ولا قُدَّامك[3] إلا خبوت ومفاوز إلى الأرض الفلانية، وهي هذه الجهة [أي] التي تسير إليها المذكورة أسود عادية ومفاوز ما تقطع إلا على الإبل ولكنك إذا عزمت على المسير ساير هذا الوادي ولا تفارقه إلى أن تصل إلى السفلة تجد عنده العمائر الكبيرة وهذه المفاوزة أعسر مفازه عليك، هكذا قالوا لي، وهذه

(1) غطاء للرأس: توسع دوزي في شرحه في المفصل بأسماء الملابس ص: 66.

(2) قابس: مدينة من البلاد الإفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل وتعد من البلاد الجريدية وبينها وبين طرابلس ثمانية أيام أنظر (الروض المعطار 450 والإستبصار 112).

(3) قدامك: أمامك.

المفازة نحو خمسة أيام ما يرى فيها ساكن، فعزمت من عندهم، وتوكلت على الله والنّية الصالحة إلى أن وصلت صلاة الظهر وإذا ببدوا خطوا قدّامي جاءوا من بعد يريدون بلادًا أخرى فعزموا علي نفر منهم وأتوني بقرص بر مجمور، وقالوا لي هذا القرص أخذناه من ناس نَهْباً فقلت لهم: لا جزاكم الله عني خيراً كان ما ذكر توالي ذلك[1] قالوا خفنا أن يعاقبنا الله بغشك منا بأكل الطعام المغصوب، وأنت رأينا فيك هيئة الصّلاح، فقلت لهم: تسيروا بالقرص معي، فإن وجدت غيره فذلك وإن لم أجد شيئاً واحتجت لأكله أكلت منه ما يسدّ الرمق فسرت من عندهم مع صلاة الظهر إلى نحو إصفرار الشمس، وأنا ساير في هذا الوادي الكبير، وفيه من الأشجار ما يغلب على الظن أنه مخافة لكل من مر فيه، فبينما أنا أسير فيه إذ سمعت رغاء إبل أمامي فإذا أنا بفقراء جاؤوا نجيع من أرض بعيدة يريدون جهة أخرى إلى جهة الشمال فإذا هم يصلّون جماعة، فوصلت إليهم وهم قيام بالصّلاة، فقلت لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولم يردُّوا عليَّ السّلام حتى تموا صلاتهم فردوا عليَّ السلام، وقالوا لي من أين أنت جئت، قلت لهم: من مدينة فاس، قالوا: وإلى أين تريد، قلت إلى المشرق للحج إن شاء الله تعالى، فقالوا لي تقرأ شيئاً من القرآن، قلت لهم: نعم، قالوا تقرأ غيباً أم نظراً، قلت لهم: غيباً، فقالوا لي على أي حرف، فقلت: على حرف نافع لورش، وعندهم لوح مكتوب فيه نحوْ مقرأ، فقالوا إضبطه لنا فضَبطْه على حرف نافع لورش، فبان صدقي عندهم، وقالوا تقرأ شيئاً من الفقه، قلت لهم الرسالة، فقالوا: لم سلّمت علينا ونحن في الصّلاة وأنت فقيه تعلم ما لا يجوز فيه السّلام على من كان يباشر شيئاً منهي السلام عليه فيه، ومن جملة ذلك الصلاة، فقلت لهم: أعلم ذلك، إلا أنكم أهل علم علمت أنكم إذا أتممتوا الصلاة رديتم السّلام عليَّ كما فعل رسول الله ﷺ لمن كلمه وهو عـلى قضاء الحاجة[2] ولا رد عليه السلام إلاّ بعدما قضى حاجته وردّ عليه السّلام، وقال ما

---

(1) كذا.

(2) انظر الحديث في سنن أبي داود (كتاب الطهارة) والترمذي (كتاب الطهارة) والنسائي (كتاب الطهارة).

قال له من النهي، وأنا ما ذكرت لكم إلا لئلا تفوتكم فضيلة ردّ السلام عليَّ بعد تمام صلاتكم، في كلام كثير من هذا المعنى ثم رجعنا إلى حكاية القرص فحكيت بالأمر الذي فيه من كذا وكذا على ما حكوا لي فيه، والآن وجدتكم ومعكم ما يغنيني عن أكله لأنه ما يؤكل لمثلي إلاَّ عند الضَّرورة وهذا القرص طاهر العين ما هو كالميتة، وهو أيضاً مجهول الأرباب يعطي لمن يستحقه من الفقراء المحتاجين له، قلت: وقع الخوض فيه فقالوا: أعطوه للكلاب فأبيت وقلت: ما يجوز يعطي للكلاب مع احتياج المساكين له فاتّبعوني على هذا الكلام، وموافق كلامي عندهم، ثم أظهروا كتاباً فيه إذا كان أحد من الناس، مع البدو واضطرُّوا إلى البيع والشِّراء معهم، فهل يعدُّ في ذلك الضرورات الحال، فقالوا لي في ذلك الكتاب تجوز المعاملة معهم للضرورة الداعية لذلك والمشقّة تجلب التيسير، وقمت عند أهل هذا الحي المباركين، ورغبوا في مجالستي، وقالوا أقم عندنا غدوة حتى تسير مع خطار[1] تركب معهم في هذه المفازة إلى العمائرْ، فأقمت عندهم ذلك اليوم وهذا كله ببركة العلم، حتى صرت كأني نشأت[2] عندهم، فالحمد لله على قوة دين الإسلام، ولا يعرف ذلك إلا من سافر في أطراف الأراضي حتى يعلم أن الدين متّسع وامة النبي إلى خير في العرب والعجم.

ثم توجّهت معهم في هذه المفازة على أتم حال وأنعم بال إلى أن وصلنا العمائر ودون هذه العمائر قرية فيها قَبْر عليه شباك حديد، وقالوا أهل هذه القرية هذا قبر نبي قديم ولربّما قالوا هذا قبر النبي خالد بن سنان الذي بعث لقومه بعد عيسى ابن مريم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ووقعت فيه مراجعة بيني وبين علماء المكان إلى أن قلت لهم إني سمعت ممّن أخذنا عنهم العلم في مدينة فاس أن الأنبياء عليهم السلام قبورهم غير ظاهرة الأثر إلا قبر نبينا عليه الصلاة والسلام ظاهر حتى يتشفّعوا به أمته فيما بينهم وبين الله تعالى مما اقترفوا

(1) قادمون.

(2) في الأصل نشوت.

من المعاصي، وأما قبر إبراهيم ومن معه من الأنبياء في بيت المقدس يقولون إنهم في المكان الذي يتبركون به الناس من غير تعيين للقبور أعني قبر إبراهيم ومن معه ولذلك أخفى الله قبور الأنبياء الماضين غيرة من الله تعالى لئلا يتوسل بهم اممهم مع إنكارهم لنبوتهم أو لغير ذلك من الأسباب الموجبة لذلك والله أعلم.

ثم توجهت إلى قابس ونواحيها من الغرب ودخلت قربه اسمها جربة[1] وفيها فرقة من الخوارج تسمى في الغرب الغزائية[2] يطعنون في سيدنا علي رضي الله عنه، وكذلك في السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد ابن الحسن السبط المصرية وغيرها من أهل البيت قبح الله رأي من يفعل هذا الفعل، وهو ينتمي إلى الإسلام، وقد طهّر الله أهل البيت وأثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[3] وكذلك أثنى عليهم ﷺ في أحاديث كثيرة وكذلك أثنوا عليهم أكابر الصحابة وإلى يومنا هذا.

ثم خرجت من الجربة إلىترابس[4] دخلت مدينتها ولقيت فيها رجلاً صالحاً يقولون أنه من ذرية ابن التلمساني[5] المشهور، وكانا ذلك في آخر شهر رمضان ونحن صيام مع أناس زرناه في المدينة المذكورة وهم الذين عرفوني به، فلما أصبحنا وجئناه للاستخلاف[6] منه ونُريد التوجّه إلى المشرق، وكنت ما علي إلا باقي ثياب تقطّعت من طول السّفر فجاء إلي بكسا صوف وبرنص غالي وجوخة غالية أيضاً، فقال لي: اختر لك واحداً من هذه الثياب فقلت له ما سبب

(1) جربة: جزيرة في بحر إفريقية أقرب بلادها إلى قابس يسكنها قوم من الخوارج (أنظر الروض المعطار (115/8).

(2) قال في الحلل السندسية 374/2 في الكلام على أهل جربة «وهم ينقسمون إلى فرقتين فرقة تعرف الوهبية وفرقة تعرف بمستاوة» ولم يذكر هذه الفرقة.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 33.

(4) كذا عند المؤلف بالتاء صوابه بالطاء وهي طرابلس الغرب المعروفة وهي كبيرة على ساحل البحر انظر (الروض المعطار 389).

(5) يعني عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني الصوفي المعروف المتوفى سنة 690 ترجمته وفاته في دمشق (الأعلام 130/3).

(6) من العامي بمعنى الوداع وطلب الأذن.

هذه الكسوة يا سيدي حفظكم الله فقال لي عوتبت فيك البارحة جاءني النبي ﷺ وقال لي: وفد إليك واحد من ذريتي عليه باقي ثوب خلق، وأنت معك سعة من الدنيا ولا تستر عورته، فقلت له: هكذا قال لك النبي ﷺ قال: هكذا قال لي النبي ﷺ، فبكيت لذلك بكاء فرح وبكاء هو لاستحقاري[1] عند نفسي من[2] أكون أنا حتى يذكرني النبي ﷺ، فأخذت كساء الصوف لأنه لباس الصوفية، وأقل ثمن، وتركت له باقي الثياب، وهذه الكرامة من الشيخ التلمساني، وكرامة لي بإعلامه من النبي أنّي من ذرية النبي ﷺ، فالحمد لله على ذلك، وكذلك ما ذكر لي من الكشف الشيخ الحمياني باني شريف قبل وصولي إليه على ما ذكرته قبل.

ثم توجهت إلى زيارة الشيخ أحمد زروق، ولقيت في ترابس[3] الغرب هذا أولياء الله كثير فيها في هذه الجهة من أجلهم عندي الشيخ عبد الصادق شاذلي الطريقة والشيخ سالم مفتي تلك الجهة في زمانه وغيرهما، فأخذت منهم اليد والأخوة في الله تعالى ووقع لي منهم ما فتح الله تعالى به بعض فضه إعانة في كسوة، مع غيرها، وزرت من كان فيها من الأموات كالشيخ القوري وغيره حتى توصلت[4] إلى القرية التي مقبور فيها الشيخ أحمد زروق نفع الله به وأهل هذه القرية التي مقبور فيها الشيخ زروق في سكانها جفا لمن جاء إليه من أهل المغرب، وقمت فيها ما شاء الله أن أقيم، وأهل هذه القرية الله أعلم أن أسمها مسراة[5] قبر فيها في آخر القرن التاسع وهو شيخنا الذي ننتمي إليه بواسطة المشايخ الذين أخذنا عنهم طريقتنا وهذا عهدي بآخر بلاد المغرب.

ثم توجهت إلى مصر وَحْدي ولا وحيد مع الله تعالى أخذت طريق برقة

(1) كذا.

(2) الأصل: مني.

(3) كذا كسابقه.

(4) كذا في الأصل.

(5) هي مسراتة أو مصراتة مدينة من أعمال طرابلس الغرب. وقبر الشيخ المذكور في قرية تسمى تكرين من مصراتة المذكورة.

المعروفة وهي مفازة كبيرة ومهاوى وقفار ولا تجد ساكنها إلا بادية مكافحة ولهذا يقول المغاربة في الأمثال «أما غرقة إن سرت في البحر وإلاّ برقة إن سرت في البر» لكثرة المشقّة في هذين الحالين، وحملت ما قدرت له من الزاد الذي لا بد لي منه قليل تمر وقليل سويق وهو معروف في المغرب، ورأيت من مشاق السفر في هذه المفازة ما لا أراه في غيرها، وقد ذكرت [ذلك] في رسالتي «الدرة الفاخرة في ذكر من لقيته من رجال الآخرة» أنظر ذلك فيها ـ إلى أن دخلت إسكندرية وفيها من مشايخ الشاذلية [جماعة] مقبورون، زرت قبورهم منهم الشيخ أبو العباس المرسي وغيره، وأقمت فيها أياماً، ثم قيل لي أن الشيخ محمد بن الحسن البكري ما حج هذه السنة، ومن عادته إذا ما حج زار قبر الشيخ أحمد البدوي، فتوجهت إلى القرية التي مقبور فيها الشيخ أحمد البدوي، وأقمت فيها إلى أن وفد الشيخ محمد البكري وعياله وفقراء كثير وخرجوا[1] عيال الشيخ أحمد البدوي برايات الشيخ أحمد جدّهم، وقالوا لي: تسير معنا حيث ذكرت لهم: إن ما قصدي من المغرب إلا الشيخ محمد البكري، فجابروني[2] وكسوني كسوة تليق بالمروءة لمثلي. فلما واجهناه قالوا: هذا شريف يقول: إنه ما جاء من المغرب إلا إلى الله تعالى، ثم إليك، وقال لي: من أي الأشراف أنت، فقلت له حسني فقال لي أنت حسيني، فقلت له: إني حسني، فقال لي: من أي الحسنين، فقلت له: من الأدارسة وقبيلتي في الغرب معروفة، فقال لي: رأيت الحسين مكتوب في جبينك، وقام واجلسني مكانه تعظيماً للشّرف، وكنت رأيت في الليلة التي أصبحنا في يومها نواجه الشّيخ محمد مع عيال الشيخ أحمد البدوي كأني في مكان وفيه سوق كبير، وكان في ذلك السوق طيباً فقلت له يا سيدي هذه علقه في حلقي[3] فعسّ حلقي بيده، وقال: نعم، ثم أدخل في حلقي من الآلة التي يعالج بها ذلك بعدما استلقاني على قفاي فأخرج من حلقي علقه كبيرة وتقيأت بشيء كأنه الرز وكان الناس يأكلون من ذلك الذي يخرج مني، وقال لي بعد ما عسّ ثانياً عاد فيك أخرى ولدتها العلقة الكبيرة فأخرجها مثل الأولى،

(1) كذا، يعني أتباع الشيخ أحمد البدوي.
(2) بمعنى أعانوني وساعدوني، كلمة عادية دارجة.
(3) في (ت) و (م) في حلقي بمعنى سر (كذا).

وتقيأت بعدها أيضاً مثل الذي قبلها، وقال: قم[1] ما بقي فيك شيء فقلت له إني حسيت بحركة في حلقي، فقال لي: قم ما بقي في حلقك شيء، ثم ضرب بين كتفي ثلاث ضربات، وهو يقول: ما بقي شيء من العلق، فذكرت هذه الرُّؤيا للشيخ محمد البكري[2] في جمع كثير عنده واستراح بهذه الرؤيا وقال لي: ذلك يكون على يدي إن شاء الله تعالى، ثم سألني عن أعيان المغرب، ومن سَلَّم عليه منهم، ورد السَّلام على من أوصاني إليه من مشايخ الغرب الذي أودعوني السَّلام عليه، مثل الشيخ عبد الرحمن المذكور أولاً والشيخ عبد الصادق وغيرهما لأني حيث ما قابلته دخلتني منه هيبة لأنه في زي الملوك، ولا أنا ممن يتردّد على الملوك لأنهم عليهم هيئة الجبروتيه للمظهر الذي أقامهم الله تعالى فيه كما قيل في الإمام مالك بن أنس رحمة[3] الله عليه شعراً:[4]

تدع الكلام[5]فلا تراجع هيبة   والسايلون نواكس الأذقان
سيما الوقار وعز سلطان التقى   فهو المهيب وليس ذا سلطان

فكان الشيخ محمد البكري هكذا من الهيبة الذي عليه والجلال فلما أخذ ما عندي من الأخبار ورد السلام على من استودعني السلام عليه وقال لي: ما جاء بك إلا لزيارتي قلت نعم فقال لي: الله عليك قلت: الله على ما جئت[6] من بلادي وأهلي إلا حيث طرق سمعي في مجالس العلماء ومن ينتمي إلى طريقة الصوفية يقولون إن كان قطب الوجود يجوز إظهاره للناس فهو الشيخ محمد بن الحسن البكري لما سارت به الركبان وتسامرت في حديثكم الخلان عند أرباب الصلاح والعلماء وتقويم سيرتكم الحميدة، فكان هذا[7] سبب تحرك الهمة إلى

(1) بمعنى سر في (ت) و (م).
(2) تكرر وهو الشيخ أبو المكارم محمد بن محمد البكري متصوف مصري توفي سنة 994 النور السافر: 414.
(3) م: رحمت.
(4) البيتان للثوري «انظر ترتيب المداوك 2 :167».
(5) كذا في الأصل وفي المدارك: يأتي الجواب فلا يراجع هيبة.
(6) كذا في الأصل.
(7) م: هذى.

حضرتكم الكريمة فأعجبه كلامي ثم رجع يثني على أهل المغرب بالخير وطلبهم الزيارة ولا يزالون يتوجهون إلى المشرق لطلب الزيارة وعد منهم جماعة ثم ذكر في النسب النبوي إلى أن ذكر من جملة [ما] ذكر فيه حكاية المأمون الذي ذكرها الغزالي في كتاب سر العالمين[1] والذي قال الغزالي وذكر من أثق به: أن المنصور أغرى بقتل العلويين حتى نفر أكثرهم إلى اليمن، فلما وصلت النوبة إلى المأمون وكان يتولّى محبة أهل البيت فسأل عمّن بقي من الأشراف من الفاطميين فاخبروه عن قوم منهم بأرض اليمن فانفذ إليهم ليستعطفهم وأجمعوا رأيهم على أن كل واحد منهم يبعث شخصاً يشبه به من وكيله أو غلامه فإن كان خيراً فما يضرون وإن كانت الأخرى فلهم أسوة بالسّادات، فلما وصلوا إلى المأمون أكرمهم وأعطاهم وتزوّجوا وتوطّنوا، فإذا وجدت شريفاً[2] مقبحاً غير زاكٍ[3] ولا زكيّ فهو منهم لأن أهل هذا البيت المعظّم لا تسلط[4] الفحشاء على منازلهم وهو معنى قوله عليه السلام[5] «نحن أهل البيت لا نفجر ولا يفجر بنا» انتهى بحروفه.

فقال واحد من أهل المقعد، وايش[6] الفرق بين من جاء من أشراف المشرق بين النّسب، وبين غيره من هذه الأنساب المزوّرة، فقال الشيخ: السنة أتباع آثار آبائهم وأجدادهم الكرام، قال: وأما أشراف المغرب خصوصاً إدريس الأكبر ومن قام بعده من ذريته بالأمر ما قدرت عليهم الملوك في ذلك الزمان وهم إلى الآن نسبهم مضبوطاً انتهى كلام شيخنا البكري.

ثم سِرْنا معه إلى قبر الشيخ أحمد البدوي وأقام عنده في القرية المقبور فيها الشيخ أحمد البدوي وهي قرية[7] معروفه من أعمال مصر نَحْو خمس مراحل

(1) سر العالمين للغزالي: 25 ط الكتب العلمية.
(2) الشريف الذي ينتسب إلى آل البيت.
(3) م: زاكي. وفي سر العالمين غير ذاك.
(4) في سر العالمين أسباط للفحشاء.
(5) لم أجده.
(6) كذا في «م».
(7) هي مدينة طنطا.

تقريباً، ثم رجع قافلاً إلى مصر بمن معه، وكان في بعض الأوقات إذا رآني أسايرة من بعيد، وهو راكب في المحفّة وهي معروفة بمصر تحمل بين جملين مَقَدّم ومؤخّر وهي كالحُجْفة مغشى عليها، فإن شاء راكبها أزال الغشاء وإن شاء أسْدَ له، فكان إذا رفع الغشاء ورآني قبله دعاني ويستَخبرني عن مجيئي[1] إليه ومن لقيته من الأولياء، وهل ركبت في سفرك هذا أو تسير على رجليك فذكرت له قليل ركوبي في هذا السفر إلى حضرتكم الكريمة، فلما رأى ما عليّ من أثر التعب في السفر روى حكاية عمّن وفد إلى رسول الله ﷺ، وقال عليه السّلام في حقه. من أراد أن ينظر شاباً من شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا الوافد علي، وأشار بالحديث إلي منه رضي الله عنه إلى جنابي معه بقرينة الحال حالي وحال الوافد على رسول الله ﷺ، وهذه بشارة لي منه رضي الله عنه، وهكذا أنا وهو في طريقه مع الرّجوع إلى مصر، إلى أن قال لي مراراً: الله عليك إنك ما تحرّكت من المغرب إلا لما ذكرت لك من الثناء علي من أعيان أرباب المغرب المشار إليهم فقلت: نعم يا شيخ تطالبني بين يدي الله تعالى إن كنت كذبت عليك، وقصدي لغيرك في المشرق، وأنا أطالبك بين الله تعالى إن كنت تعلم الاسم الأعظم ألاّ تعلّمني إيّاه، ثم قال لي: ما تريد بالاسم الأعظم، فقلت أستدلّ به على المسمّى فقال لي الشيخ محمد[2]: ما يعرف الاسم الأعظم، ففهمت منه أنه يريد التّورية علي أو يريد أنه يعرف المسمّى دون الاسم، فقلت له: من لا يعرف الاسم ما يعرف المسَمّى فكان جوابه علي بالتبسّم، وأنا قلت ذلك من باب الإدلال عليه، ثم جاء من حال بيني وبينه من الزوّار إلى أن قرب من مدينة الإسلام مصر، وقابلته على العادة حيث يراني إذا رفع ستار المحفّة فقلت له: يا سيدي الفاتحة النيّة حصلت برؤيتكم، وسبب كلامي هذا أن شيخي عبد القادر الحمياني المذكور أولاً قال لي: الوعد بيني وبينك جبل الطّور في مسجد موسى عليه السلام مع صلاة المغرب، فذكر لي ليلة من الليالي نسيت

---

(1) م: مجي.

(2) يعني البكري.

اسمها فقال لي الشيخ المذكور: أنت ضَيْفنا أدخل معنا مدينة الإسلام مصر فدخلتُ معه بإشارته بعد مراجعة بيْنِي وبينه في ذلك، فلما دخل المدينة ودخلت معه إلى منزله مع جملة[1] من دخل معه من عياله والفقراء والأخدام قَصَروني من الدّخول إليه مع من دخل، وكان واحد من التّرك من أخدامه قَصَرني من الدّخول فرآني ما اقتصرت فضربني بكرسي البُندق بين كتفي، وذلك لظنّه الفاسد أنه كلما دعاني الشيخ توهّم أنه يعطيني دراهم وليس ذلك مَطْلبي فبت مع الفقراء[2] خارجاً في المسجد إلى غدٍ وجلست ساعة على باب الشيخ والناس يدخلون عليه أفواجاً أفواجاً حيث وفد من زيارة الشيخ أحمد البدوي فحيث عجزت[3] من الدخول عليه مع من دخل، وحال البوّاب بيني وبينه فسرت من مكانه إلى الجامع الأزهر، فلقيت جماعة من المغاربة في رواقهم واسْتخبروني عن أوطانهم التي دخلتها وعن أعيانها ورخاء أسعارها وغلائها[4] وعن الفتن إلى أن قالوا لي: وما جاء بك[5] من بلادك إلى هنا؟ أحاجّاً[6] أو زائراً أو طالب علم النقل، فقلت لهم: ما جاء بي[7] إلا زيارة الشيخ لما تقدّم ذكره، فحكيت لهم بما وقع من الخادم التّركي فتعبُوا المغاربة من ذلك كثيراً لإهانتي، وقالوا: ما وجدت في المغرب من يكفيك في مطلبك عن هذه الإهانة وزادوا في الكلام وانقصوا فيما بين المغاربة وأهل مصر من المنافرة في الطِّباع، إلى أن قالوا: لو كان في الشيخ همة من همم المشايخ كان تصرّف بها على التركي الذي مدّ يده إليك إما أبطل يده أو غير ذلك لأنه أمرك بالدّخول معه وتركك لما فعل بك من الإهانة، ثم قال بعضهم لبعض من الحمقاء: ما ينصفنا إلا إذا جلس الشيخ لدرس العلم ومكّنّا

(1) م: جملت.
(2) م: الفقرا.
(3) م: عجزة.
(4) م: غلاها.
(5) م: جابك.
(6) م: حاجاً.
(7) في الأصل جابني.

واحداً من سفهائنا يضربه على رؤوس[1] الأشهاد فقلت لهم: ما يصلح هذا من أجلي وإني حملته على النسيان، والنسيان[2] جائز عليه وعلى غيره. فقبلوا عذري في ذلك وقام واحد منهم معي إلى صاحب الجراية وهي الصدقة التي لطلبة العلم وللمجاورين في الجامع الأزهر فرسموني من جملة[3] أرباب ذلك، وكنت أتردد ما بين جامع الأزهر، وما بين بيت الشيخ محمد البكري المذكور نحو خمس عشر يوماً وكلما جئت[4] إلى الباب[5] والناس يدخلون ويخرجون في هذه المدة والمغاربة المجاورين تعبوا لذلك، ربّما أحد منهم دخل في عرض الشيخ محمد البكري وأنا أعتذر لهم بذلك لئلا يسيئوا له[6] الظنّ وربما يكون له مراد بذلك وهو من أكبر الرياضات[7] في حقّي لأن نَخْوة رياسة أرباب المناصب تكسر في الوقوف على أبواب الصالحين لأن آخر ما يخرج من رءوس[8] الصديقين الرياسة. والرياسة رياستان رياسة مذمومة وهي مقرونة بالكبر والعُجْب والرياء[9] وغير ذلك، والرياسة المحمودة إلى غير ذلك، فحملت الشيخ على هـذا المعنى كما جرى[10] لكثير من عيال الأقطاب إذا وفدوا على من يريدون الانتفاع منه كانوا يريدون ذلك إقبالاً في حقهم وعلموا من ذلك صدق التوجّه إليهم لتذللهم على أبواب المشايخ وغير ذلك، مما يحسن به الظن بالشيخ إلى أن جاءني رجل من أهل الخير وأنا على هذه الحالة، فقلت له: سلِّم على الشيخ وقل له[11] إن الشريف الذي وفد إليك من المغرب قاصداً إليك وأمرته بالدخول

(1) م: روس.

(2) م: جايز.

(3) م: جملت.

(4) م: جيت.

(5) في الأصل ردوني أخدامه والإصلاح من عندنا.

(6) م: يسيوله.

(7) كذا في م، والرياضيات هي المتاعب.

(8) م: روس.

(9) م: والريا.

(10) م: جرا.

(11) م: وقلة.

معك وقلت له أنه ضَيْفك فدخل على ما ذكرت[1] له وأراد الدخول مع من دخل معك من عيالكم وأخدامكم[2] فقصروه[3] من الدّخول والآن قال: إن كنت راضياً عنه سار حيث أراد فإنه ما قيده إلاّ كلامك فأبلغه الرسول ما ذكرت له، فلما أعلمه خرج الشيخ وهو يبكي وقال: ﴿ما أنسانيه إلاّ الشيطان[4] أن أذكره﴾ واستشهد بهذه الآية الكريمة، ثم قبل بين عيني وقال: كيف يكون حالي مع النبي ﷺ حيث منعت من دخولك عليَّ وأنا الذي أمرتك الدخول معي وأنت ضيفي فأخذ بيدي واطلعني من مكان إلى مكان في منازله، إلى مكان دون مكان الحريم حريمه وبناته. وقال لي: هذا حدّك فإن زدت على هذا أدّبتك وهو يتبسّم، وبعد ذلك كنت كل من أراد الدخول عليه حتى[5] من عياله ما يدخله عليه إلاّ أنا[6] وكذلك كل من لا يعبأ[7] به من الناس لاستحقاره[8] ما يدخله إلا أنا ومعي ومعه في هذه الأشياء مفاكهة[9] حتى مرة جاء زوّار إليه جماعة فقراء ومساكين وحجاج وغيرهم وأرادوا الدُّخول عليه قالوا لهم البوّابون[10] ما يدخلكم عليه إلا فلان الشريف يوسف قالوا وأنّي يكون في هذه الساعة قالوا لهم يكون في الجامع الأزهر عند علماء المغاربة في رباطهم فجاءوا الى مثل هذا[11] الرسم.

وسرت معهم واستأذنت لهم عليه رضي الله عنه فأذن لهم بالدّخول عليه

(1) م: ذكرة.

(2) م: الأخدام بمعنى الخدم، وهي من عامية عصر صاحب الرحلة.

(3) م: قصروه بمعنى منعوه وحجزوه.

(4) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(5) م: حتا.

(6) م: هذه عامية ذلك العصر.

(7) م: يعباء.

(8) بمعنى احتقاره، وهو من اللغة الدارجة.

(9) م: حتا.

(10) م: قوله «قالوا لهم البوّابون» من لغة العصر.

(11) م: هذى.

وانبسط [1] معهم الشيخ غاية البسط، وكان واحد من البوّابين يسمّى بدر، فقال له هكذا: أدخل علي الوافدين إليَّ في الله مرحباً بوفود الله، ثم تنزّل معهم بالمفاكهة[2] إلى أن قال لهم غداكم[3] اليوم على مولاي الشريف اقبضوه منه وهو يضحك فقال واحد من الوفود: إذا أذنت في ذلك. إمّا غدّانا وإلا بعناه في غدائنا[4] فقلت له: يا سيدي هم أضيافي[5] وأنا ضيفك فاخرج سماطاً وجابرهم لأجلي ولا لقّنني[6] الذكر إلا بعد خمسة عشر[7] يوماً، قال لي بعد صلاة[8] المغرب من تلك الليلة التي لقّنني الذكر: الآن سمعت فيك النداء من قبل الحق وأنا إلاّ صاحبك وعادلك شيخ غيري. وهذا من باب التنزل[9] معي فاستحيت أن أقول من هو غيرك أو في أي جهة هو أو لو ذكرت ذلك لأجابني فيما سألته، لكن لزمت الأدب في سؤالي حتى يجيء منه ذلك فأجلسني في حال التلقين بين يديه متربّعاً وهو[10] كذلك وجعل يديه الكريمتين على فخذي وقال هكذا[11] لقّنني والدي أبو الحسن البكري كما لقنه شيخه أبو مدين النجاروبي بسلسلته بتلقين الذكر من شيخ إلى شيخ إلى أبي الحسن الشاذلي إلى سيدنا الحسن ابن علي السبط عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ فقال: لا إله إلا الله مدَّ بها صوته ثلاث مرات وأنا ساكت فلما تمها[12] قلتها ثلاث مرات وقالها معي من حضر معنا في تلك الساعة من عياله وفقرائه ثم أقمت عنده بعد التلقين

(1) انبسط لهم، من المألوف الدارج.

(2) تنزّل معهم بالمفاكهة بمعنى جاملهم وأحسن إليهم في الكلام.

(3) أي غداؤكم، وهو طعام الغداء.

(4) م: غدانا.

(5) م: ضيافي.

(6) لقّنني الذكر بمعنى ذكر لي.

(7) م: خمست أعشر.

(8) م: صلات.

(9) م: بمعنى التنازل.

(10)م: وهوا.

(11)لقني.

(12)بمعنى أتمها.

نحو أربعة أشهر ونصف ولا أفارق مجالسه ونظره الكريم علي بعين الخصوصة وربّما إذا طاب مجلسه في بيته الذي هو مختص به لاجتماع الناس إليه وأراد لاحد من الناس الذين هم أهل لطلب[1] الأسرار قال له أجلس إلى حول[2] مولاي الشريف لأنه محل النظر عليه ولنا معه منازلات وأحوال غريبة وكان يعاملني بمعاملة ما عاملني بها أحد من المشايخ الذين[3] أخذت اليد[4] عنهم وأبان لي نتيجة من تلقين الذكر ما كنت أعتادها قبل ذلك من الذكر الذي هو قول لا إله إلا الله. وقد ذكرنا في رسالة الرحلة وفي رسالتي «الدرر الفاخرة» في ذكر من لقيته من رجال الآخرة ما يغني عن الإعادة هنا وإنما اختصرت الكلام هنا لأجل سبب ذكر مجيئي[5] من المغرب إلى المشرق إلى الله ثم إليه أعني شخنا محمد البكري وكان من أمر الله تعالى أني ذكرت له في دخول الرياضة[6] على يديه يوم وليلة[7] فقال لي الآن علمت منك صدق التوجه إلى الله تعالى لكن أعتكف الليلة عند قبر الشيخ أبو مدين النجار وبي[8] المقبور حول بيته وهو شيخ والده المذكور فاعتكفت ولزمت ذكر لا إله إلاّ الله حتى غلب عليَّ النوم فإذا برجل وفد علي وقبضني بجميع ثيابي على رقبتي وجرني إليه بعنف من علوّ إلى أسفل فإذا أنا عند أطناب بيت الشيخ البكري ثم أحجبت[9] ولا خرج الشيخ ذلك اليوم فسرت إلى الجامع الأزهر لحضور درس التوحيد عند الشيخ مخلوف المغربي فاعلمته بالقصة ثم قال لي أنت شريف، قلت له: نعم، قال: جاء رجل من الهند [وهو] من قرية المحلة وهي قرية من أعمال مصر وجاء إلى حضرموت

---

(1) م: الطلب.
(2) م: العل جوار.
(3) م: الذي.
(4) م: البد.
(5) م: مجيي.
(6) م: الرياضة بمعنى الممارسات الصوفية.
(7) يوم وليلة على ما هو دارج في كلامهم.
(8) كذا ولم نجد هذا الرجل.
(9) أحجبت بمعنى مُنعت.

لزيارة[1] من فيها من الصالحين أشراف وغيرهم[2] وفيها شريف اسمه أبو بكر بن سالم[3] أو سالم بن أبي[3] بكر فتذاكر المحليّ والشيخ أبو بكر فيمن ينتفع به من الأولياء بمصر والشام أو المغرب فجاوب[4] عليه بما يقتضي سؤاله في الحال وذكر له من جملة ما ذكر أني موعود بولد صغير شريف يقرأ العلم في مدينة فاس فتحير[5] علي وأنا موعود به ما أموت حتى يجيء إلي، فإن كنت شريفاً سِرْ إليه فإنه صاحبك فجيت أنا وإياه إلى عند المحليّ فما وجدناه في بيته الذي في مصر وقالوا خرج إلى المحلة ونسيت ما قال لي الشيخ مخلوف المغربي ثم لما جئت إلى دار الشيخ محمد البكري وقال لي أريدك تسير إلى جدك رسول الله ﷺ لأن هذا الذي تطلب ما تجده إلا عنده في كلام كثير ثم أمرني أن اكتب مع الحجاج المغاربة إلى أهلي ومن كان من مشايخي في مدينة فاس، ونواحيها فقلت له: كيف أقول لأهلي فقال لي: قل لهم إني وجدت الرجل الذي يطوف علي بالمغرب وأنا كتبت هذه الورقة من محروس مصر، وأنا ملازم حضرة[6] سيدنا الشيخ محمد البكري وهو يسلم عليكم ويدعو لكم فكتبت إليهم بإذنه ووجهت الكتاب إلى مدينة فاس، ثم أشتغل بتجهيزي إلى مكة وزوّدني بما كتب الله من الدراهم وكتب معي كتاباً إلى صاحب خرجه وهو أمير صعيد مصر من قبايل يُسَمُّون الشراكسة ومن جملة[7] ما قاله في كتابه: وأنه وصل إلينا هذه السنة من بلاد المغرب هذا الشريف الوافد إليك بكتابنا فلا أحد يطلع عليه إلا الله فاستوصي به خيراً فيما يوصله إلى مكة من بندر قصير هو ومن معه وكذلك أرسل معي واحداً من ذرية الشيخ عبد الرحيم القناوي[8] حالين[9] في قرية قنا وفيها

(1) م: لزيارت.
(2) م: «أشراف وغيرهم» من الكلام الدارج.
(3) هو الإمام الصوفي الكبير توفي سنة 992 «المشرع الروى 29:2».
(4) م: فجوب.
(5) تحيّر: أبطأ في مجيئه (من الكلام العامي).
(6) م: حضرت.
(7) م: جملت.
(8) صوفي من أهل مصر توفي سنة 562 «جامع كرامات الأوليا 166:2».
(9) حالين بتشديد اللام من كلام أهل حضرموت بمعنى ساكنين.

أشراف كثير من ذرية الشيخ عبد الرحمن[1] القناوي وأمرهم أن يأخذوا لي زاداً بُرّاً ويطحنوه ويجعلوه على سالف أراضيهم[2] محمص وطحين وحب بُرّ فلمنا قضيت حاجتي من الشركسيّ صاحب خرجه جابرني وناولني ما فتح الله به من الدراهم واستعذر مني وكتب معي إلى والي بندر قصير مع واحد من ذرية الشيخ عبد الرحمن القناوي وسرت من قنا[3] مع الشريف الذي أوصاه الشيخ البكري في بعدما قضى حاجتي من زاد وغيره وحمل ذلك على راحلته وتوجهنا إلى قصير فأوصلني إلى بندرها ورجع عني فكان سبب مجيئي[4] من المغرب إلى مدينة الإسلام مصر الشيخ محمد البكري ومن مدينة مصر إلى جهات حضرموت الشيخ أبو بكر بن سالم بعد زيارة النبي الحج والنبي[5] في الحج بأمر الشيخ البكري فركبنا من قصير وكنا جماعة اجتمعنا من كل فج عميق نحو سبعين وركبنا في خمسة مراكب صغار فرقونا بينهم أهل المراكب للتبرك وكل واحد من الحجاج والذين ركبوا معنا من غير الحجاج زادهم معه إلا أنا فإن زادي على صاحب المركب للتبرك بي وحسن ظنه فلما دخلت جده أخذت له خطا[6] من حاكم جده أن لا أحد يفتش عليه لما فعل معي من المعروف ثم أحرمنا بعمرة من ميقات الجهة ودخلنا مكة محرمين بعمرة ودخلناها اليوم عاشر من رمضان من شهور سنة واحد وتسعين[7] في القرن العاشر فلما دخل شوّال توجهت للمدينة على ما قال شيخنا محمد البكري وأخذت طريق درب الماشي ووجدت[8] زواراً من أهل القرى فزرت معهم النبي ﷺ وقمت خمسة أيام في المدينة أتردد على قبر النبي ﷺ وصاحبيه وزرنا حمزة والشهداء بأحد والبقيع ومن كان في تلك الأماكن

---

(1) كذا في الأصل صوابه عبد الرحيم كما ذكرنا.

(2) م: أراضهم.

(3) قنا: من أعمال مصر.

(4) م: مجيى.

(5) م: زيارة النبي الحج.

(6) الخط بمعنى الإذن.

(7) الكلام كله صورة من عامية ذلك العصر.

(8) م: ووجدة.

المباركة والأماكن المعظمة مع الحجاج لعرفه وحجبت في هذه السنة سنة واحدة وتسعين في القرن العاشر وكنت ملازماً أيام إقامتي في مكة درس الشيخ يحيى[1] الخطاب ومشاهد البيت وحضرت وفاة الشيخ محمد وهو سلطان مكة في ذلك الزمان ولنا المغاربة فيه عقيدة لحتى يسمى عندهم يا شحوحية[2] لعدله وهو محمد بن[3] بركات أبو نمي[4] بعدما حج تلك السنة وزرته وهو حي على فراشه[5] بعدما خرج من منى متوجهاً إلى جبل عرفة ومعي جماعة من المغاربة فلما رآنا[6] مقبلين إليه، قام لنا وقبّلنا ركبته الكريمة وطلبنا منه الدعاء فدعا لنا ونرجو من الله أن يقبل دعاءه لنا لأنه صاحب عدل في رعيته وأهل مملكته. وسبب وفاته أنه خرج إلى الفريق فسقط من فوق مطيته فكان سبب موته بذلك ودخلوا به مكة وصلّوا عليه وقبره في مقبرة آبائه ثم قرأوا[7] عليه ثلاثة أيام في الحرم الشريف تجاه الكعبة وأنا من جملة[8] من قرأ عليه مع الشيخ الخطاب وأصحابه ثم فتحوا الكعبة ودخلت مع جملة من دخل وسألت الله فيها أن يبلغني مرادي ثم خرجت إلى جدة وركبت في مراكب اليمن وذلك في شهر محرم من شهور سنة اثنين وتسعين في القرن العاشر وخرجت على بندر جازان بعد شدة طوفان في البحر فأنجانا الله من الغرق ثم توصلت إلى قرية أبو عريش فيها المشايخ آل حكمي مثل الشيخ صديق بن علي والشيخ أحمد صديق وغيرهم وأقمت عندهم أياماً وأرسلوا معي أحداً من فقرائهم إلى زيارة الشيخ أحمد قيراط في قرية العقدة ورجعت إليهم بعد عقد الصحبة بيني وبين الشيخ أحمد قيراط ثم رجعت إلى أبو عريش عند المشايخ الحكمي وكتبوا معي كتاباً إلى فقير لهم في صعدة وخرجت

---

(1) م: يحيا.

(2) كذا في الأصل.

(3) م: وفات.

(4) هو محمد بن بكرات بن محمد أبو نمي امير مكة سنة 931 توفي سنة 992 «الإعلام 6:52».

(5) م: فرشه.

(6) م: راءنا.

(7) م: قروا.

(8) م: جملت.

مع قافلة خارجة إلى الجوف فيها أشراف الحمزات[1] آل غر وآل جودة وسألوني عن نسبي فحكيت لهم أني من ذرية الإمام إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل ويسمى أيضاً المحض ولعله بالظاء وإذا أخبارنا عندهم أكثر من أخبارهم عندنا: فزودني أمير الزاهر وكان اسمه ياسين [2] بن ناصر من الجودة ثم جئت[3] إلى الشيخ أبي بكر بن سالم مع زوار كثير خرجوا من وادي بيحان ومعهم أمل[4] للشيخ كثير وكان بين شبوة وبيحان مفازة خبت ما تقطع إلا على المطايا وكانوا هؤلاء الزوار معاملتهم معي معاملة جفاء كما قال الله تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه السلام وكانوا فيه الزاهدين[5] فلما وصلنا [إلى] الشيخ أبي بكر بن سالم في بيته المعروف بقرية عينات جابروني بعكس ما هم فاعلين معي من الجفا وأخذت المجالس عليهم في نحو ثمانية أيام ثم حكيت له سبب مجيئي[6] إليه وأن الرجل الذي كان يطوف علي بالمغرب بعدما أخذ قلبي وعقد لساني من قول الشيخ يوسف الدادسي نزيل مكناس ولا أحد دلني عليك إلا الشيخ المحلي أنك قلت له: إني موعود بشريف يقرأ في مدينة فاس فإن كنت أنا صاحبك فإني قد جئتك وإن لم أكن أنا صاحبك وقد أطلعك الله عليه فدلني عليه فإن البكري قال أنا صاحبك وعادلك شيخ غيري فجاوب[7] علي الشيخ بكلام يناسب حالي في تلك الساعة وأقمنا عنده ثمانية أيام وحكمني فيها وكان دخولي عليه في ثاني عشر من ربيع الثاني من شهور سنة اثنين وتسعين في القرن العاشر وسرت[8] من عنده مع الخطار إلى مدينة سبا فلما مضيت من عنده حكى[9] لبعض خواصه بأن الشريف

---

(1) من بيوت العلم والسيادة في اليمن.

(2) لم أقف عليه.

(3) م: جيت.

(4) الأمل عند أهل حضرموت: النذر.

(5) سورة يوسف الآية: 20.

(6) م: مجيبي.

(7) م: فجوب.

(8) م: وسرة.

(9) م: حكا.

الذي وعدتكم بمجيئه إليّ جاءني مع هذا الوفد فقال لي الذي حكى له بهذا فبكيت حين ذكر لي ذلك وعلمت أن الشيخ قربت نقلته ولأجل معرفتي بهذا الشريف الذي وعدني الشيخ بوصوله إليه قال فقال الشيخ عاده يرجع إلينا فرجعت إليه من مأرب ووجدت[1] أهل حضرموت ومن كان ينتمي إلى الشيخ في لبس الخرقة وغيرها مقبلين علي مما سمعوا من الشيخ أنه ذكرني قبل وصولي وبعد الوصول وقال هذا[2] الشريف الذي وعدتكم بوصوله إلينا فزاد أهل الجهة فيَّ محبة ورغبة وأقمت عنده ما شاء الله نحو خمس عشر يوماً وقال أعزم وعزمت من عنده إلى قرية يشبم فصمت رمضان عند شيخ من مشايخ تلك الجهة مبارك اسمه عبيد بن عبد المالك ثم رجعت إلى الشيخ بإشارة منه بنقلته إلى لقاء مولاه ودخلت عليه في خامس أو سادس في شهر ذي الحجة وقال لي حين واجهته هذه بضاعتنا رُدُّت إلينا تحيرت علينا يا يوسف وأنا أبو الأرواح وأما والدك فهو أبو الأشباح والله إني نظرتك في صلب والدك عابد وحضرت ولادتك، وجاء بعدي اثنان واحد من الروم اسمه شكر وواحد شريف حسيني من وراء النهر عيَّدنا عنده عيد عرفة الجميع وقال لي بعد عيد النحر قبل أن يمرض بيوم ومعي محمد بن علي بن عمر الكثيري أما يوسف فقد جعلناه شيخاً مربياً وبدأ[3] به المرض ليلة الثلوث[4] وأربع عشر في شهر ذي الحجة إلى ليلة الأحد ستة وعشرين في شهر ذي الحجة من شهور السنة المذكورة وهي سنة إثنتين وتسعين في القرن العاشر وهو لا يزال يلاطفني ويعاملني إلى أن غمضت عينه بعد خروج روحه الزكية إلى الحضرة العلية وكانت مدة نظره علي منذ لقيته إلى أن فارقت[5] روحه جسده ثمانية أشهر وثمانية أيام ولنا معه منازلات ومراجعات ذكرناها في رسالة الدرة الفاخرة، فيمن لقيته من رجال الآخرة تأمله هناك تجده[6] إن شاء الله بحروفه

---

(1) م: وجدة.

(2) م: هذى.

(3) م: وبدى.

(4) الثلوث أي الثلاثاء.

(5) م: فارقة.

(6) م: انشاء الله.

فهذى سبب نقلي من مصر إلى حضرموت وكذلك من المغرب إلى مصر على ما تقدم ذكره للإنفاق بالشيخ محمد بن أبي الحسن البكري وكانت وفاته بعد وفاة[1] الشيخ أبي بكر بن سالم نفع الله بهما بمصر في شهر ربيع الآخر من شهور ثلاث وتسعين في القرن العاشر وهو من ذرية طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

فلنرجع إلى ذكر سبب الإقامة في جهات[2] حضرموت بعد انتقال الشيخين المشايخ المذكورين الذي كانت سبب هجرتي إليهما فلما انتقل الشيخ أبو بكر بن سالم في الشهر المذكور أقمت في بيته عند عياله وهم سادات فضلاء فمنهم الشيخ أحمد وهو أكبر عياله الذي أدركتهم والشيخ الحامد والشيخ عمر والشيخ صالح فهؤلاء الكبار من عياله ممن كان يخابرني في حياته وبعد مماته ومن بناته السيدة الفاضلة[3] طلحة بنت الشيخ أبو بكر وكانت تحت ولد عمها عبد الرحمن بن الحسين بن سالم نفع الله بهم وهذا نسب الشيخ أبو بكر بن سالم نفع الله به: هو الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الملقب السقّاف بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن محمد الملقب المقدم بجميع الفضائل ابن علي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وهم سادات فضلاء ومشايخ أجلاء علماء لهم أتباع في الخير والبركة ونالوا منهم أهل الجهة أشياء كثيراً من أحوال الصالحين مثل ما قصدتهم أنا لذلك وجدناهم مقصودين لإغاثة[4] الملهوف لمن قصدهم لمثل مطلبي فللّه الحمد على ذلك وكان الذي انتفع من آبائهم الشيخ أحمد بن عبد القادر الملقب بابن عقبة الحضرمي من شيخ منهم يقال له الشيخ عبد الله بن

---

(1) م: وفات.

(2) م: جهاة.

(3) م: الفاظلة.

(4) م: لاغاثت.

أبي بكر الملقب بالعيدروس ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف وقالوا لي ثقات[1] أهل حضرموت هو الذي أمره بالسفر من قريته شبام وهي قرية من قرى حضرموت إلى مكة المشرفة والمدينة وإلى بيت المقدس ثم جاء إلى مصر وتوطن فيها وكان اتفاق أحمد زروق وهو بمصر وكان من أمرهما ما شهر خبره في رسائل أحمد زروق خصوصاً فيما يتعلق ببعض مناقب الشيخ بن عقبة. ثم رجعنا إلى ما نحن بصدده ونويت السفر من عند عيال الشيخ إلى جهة[2] بلادنا بالمغرب وذلك في آخر المحرم شهر عاشوراء أول سنة ثلاث وتسعين في القرن العاشر وأنا إذا ذاك في العمر نحو سبع وعشرين أو ثمانية وعشرين أو من هذا التقدير.

فلما توجهت من قرية الشيخ راجعاً إلى حيث ذكرت[3] بت ليلة في قرية حول قرية الشيخ من مغاربها وفيها شيخ مبارك شريف من أصحاب الشيخ يقال له عقيل باحسن يكنى[4] بجمل الليل وكان حضر وفاة الشيخ وحضر غسله ودفنه بعد الصلاة عليه وهو الذي طلبني أمر عليه عند رجوعي ولأن الشيخ رضي الله عنه ما مات حتى شيع ذكري في جهة حضرموت ونواحيها فأكثر الناس أرادوا التعرف بي لما رغبهم الشيخ في جنابي وكان يقول لبعض خواصه اقرأوا[5] علم التوحيد على يوسف لأن أرض حضرموت خلية من علم التوحيد وذلك لسلامة الجهة من النفاق وما فيها من المذاهب إلا مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فبت عند هذا[6] الشيخ المذكور وخابرني فبت تلك الليلة في مسجده فرأيت فيما يرى[7] النائم كأنني عند قبر النبي هود عليه السلام الذي أسفل وادي حضرموت على ما ذكره الغزالي في كتاب «سر العالمين» وهو مشهور عند أهل الجهة ومزار يأتي إليه

(1) م: ثقاة.

(2) م: جهت.

(3) م: ذكرة.

(4) م: يكنا.

(5) م: اقراءوا.

(6) م: هذى.

(7) م: يرا.

الزوار من جهة[1] اليمن ونواحيها وتجاب الدعوة عند قبره فرأيت تلك الليلة كأني عند الجامع الذي حوله فإذا برجل خرج إلي من تلقاء[2] القبر وهو في سفح[3] جبل مقبور فدخل علي ذلك الرجل ومعه وعاء من أدم يسمى جراب أو مزود أو قرعة فيه بُرنص ومسبحة وكوفية وقال لي هذا طليسان زروق كسوناك إياها فأصبحت مسروراً لذلك وزروق من مشايخي الذي أنتمي إليه بواسطة[4] من أخذت عنهم اليد في بلاد المغرب فذكره[5] هذه الرؤيا للشيخ الذي بت عنده فاسترُ[6] لي بذلك وقال لي إن كل شريف من السادة العلويين النازلين في وادي حضرموت إذا أراد الله أن يعطي أحداً منهم من أسرار لبس الخرقة ما يعطون إلا عنده، ثم دخلت مدينة تريم إلى السادات[7] الفضلاء من آل أبي علوي منهم الشيخ عبد الله بن شيخ وهنّاني بهذه الرؤيا وكذلك بما قال الشيخ أبو بكر بن سالم قبل مرضه جعلناك شيخاً مربّياً[8] وألبسني خرقته التي فوق رأسه وهو القبع المعروف وأجازني مع القبع إجازة ونصبني شيخاً وأذن لي في لبسها لمن رأيته متأهلاً لذلك وأجازني على قراءة[9] كتاب الجزء[10] اللطيف في التحكيم للشريف لسيدنا الشيخ بو بكر بن عبد الله العيدروس المذكور المقبور في عدن وعلى غيره من الكتب وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن شهاب الدين بن عبد الرحمٰن بن الشيخ علي بن أبي بكر وغيرهما من السادات[11] النازلين بحضرموت لا يحصر عددهم

---

(1) م: جهت.

(2) م: تلقا.

(3) م: صفح.

(4) م: بواسطت.

(5) م: فذكرة.

(6) م: استرٌ بمعنى سُرٌ.

(7) م: الساداة.

(8) الأصل: مرسيا.

(9) م: قرات.

(10) مطبوع في مصر سنة 1355 هـ.

(11) م: الساداة.

وذلك لما سمعوا من الشيخ أبي بكر بن سالم قبل وصولي إليه وبعد الوصول إليه ودخلت قرية من قرى[1] حضرموت تسمى سيئون[2] فيها فقراء[3] الشيخ كثير لاسيما فقراء يقال لهم آل بارجا منهم محمد بن عمر الخطيب شهد الشيخ أبا بكر حيث عقد له أخوه بيني وبينه والشريف عبد الرحيم الحساوي [4] ولده الآن في سنة 1036 ستة وثلاثين بعد الألف قاضي في مكة اسمه عمر[5] بن عبد الرحيم وقال أنه من أولياء الله الذين لو أقسموا علي الله لأبرَّهم وغير الفقراء المذكورين ثم أمر الشيخ أحمد بن محمد الخطيب ولد الذي عقد بيني وبينه الإخوة محمد المذكور وكان ذلك الزمان خطيب في جامع سيئون أن يقرأ على عقيدة السنوسي العقيدة المسماة بالصغرى[6] وشرحها وذلك في حياة الشيخ أبي بكر بن سالم فقرأها علي في سيئون في الجامع المذكور ومعه غيره من الفقهاء ومن يطلب هذا[7] العلم حتى ختموا علي العقيدة بشرحها تصديقاً لما ذكره الشيخ من إظهار علم التوحيد على يدي لئلا يشكوا في كل أمر الشيخ بفراسته فيَّ لهذا العلم وكما إنَّا قرأنا هذه العقيدة بشرحها في مدينة فاس شرحها على شيخي يوسف التازي كما هو قرأها[8] علي الشيخ أحمد الفلالي كما قرأها علي الشيخ محمد بن جلال إمام جامع الأندلس في زمانه بمدينة فاس وشاع خبري بهذا[9] العلم وكانوا أناس يحضرون من قرية تِسمَّى[10] مريمة فطلبوني للضيافة عندهم للتبرك ولقراءة العقيدة المذكورة وكانوا يسمعون كل أمر الشيخ في جنابي فرغبتهم

---

(1) م: قرا.

(2) بلدة حضرموت معروفة.

(3) م: فقرا.

(4) كذا في الأصل صوابه البصري.

(5) هو عمر بن عبد الرحيم البصري نزيل مكة توفي سنة 1037. «خلاصة الأثر 212:3».

(6) م: بالصغرا وهي مطبوعة بمصر عدة مرات.

(7) م: هذى.

(8) م: اقراها.

(9) م: بهذى.

(10) م: تسما.

في موالاتي حتى خطبني لبنته أحمد بن عمر بن عبد الله بن علي بن عمر الحارثي ولا معه إلّا هذه[1] البنت فلما طلبني للمصاهرة امتنعت من ذلك لعدم الحقوق اللازمة بالشرع على الزوج للزوجة ولا أملك صداقها فقال لي نذرت لك ما أملك في جهة[2] حضرموت وأنا إلا خادم لك وحضر على هذا شهود ثقات فعقد لي بها وادخلني عليها في آخر شهر صفر وجعل وليمة واجتمعوا عليها جماعة من أعيان الأرض أشراف وغيرهم من الأشراف أحمد بن محمد الحبشي وغيره ومن الفقراء محمد بن عمر وولده أحمد والفقيه أحمد بن حنبل وعبد الله الرفاعي وغيرهم وعبد القادر بن إبراهيم باكثير وكذلك العبد الصالح الزاهد عبد الله بن عمر باجمال والفقيه الصالح محمد بن عبد الرحمن بن سراج باجمال وكذلك من آل باحميد الشيخ نادر والشيخ عبد الكبير والشيخ محمد بن عبد الرؤوف ومن الفقراء الزبدة[3] أهل الرباط عبد الله بن المعلم الزبيدي وزين وعيسى الزبيدي وغيرهم من قبائل بني حارثة كثير منهم محمد الشحاري ومحمد بن علي من الحبوظة وعمر بن عقيل ويماني بن فاضل وعبد الله قعفان وولده في خلق كثير وسماع وغير ذلك من زي الزوجة فكان ذلك سبب توطني في أرض حضرموت من سنة 993 ثلاث وتسعين في القرن العاشر إلى سنة ستة وثلاثين بعد الألف وكان مرادي الرجوع إلى بلادي لينتفع بي للمطلب الذي جئت بسببه إلى المشرق وهي التصرف في الأكوان وقلب الأعيان الذي يطلب على يد المشايخ فكان هذا[4] مرادي من الله فغلب الله علي الإقامة في الجهة المذكورة وكما قيل في المثل «أريد وصالها[5] وتريد هجري» فأترك ما أريد لما تريد وكما قيل أيضاً «فالقت عصاها واستقر بها النوى» كما قرَّ[6] عينا بالإياب

---

(1) م: هذا.

(2) م: جهت.

(3) الزبدة: جماعة يقال لهم: آل الزبيدي بضم الزاي.

(4) م: هذى.

(5) المثل.

(6) في م: كما قرت عين بالإياب المسافر.

المسافر، وكما يقال وقيّدني الماء والرزق والخطوات[1] المكتوبة ونكاح أزواج وذرية قيدوني في الجهة المذكورة حتى صارت[2] لنا وطناً وزوجونا في هذه الجهة لله تعالى وحملونا وحملوا بناتهم لله تعالى: لما سمعوا من كل أمر الشيخ فينا ثم حسنت سيرتنا عندهم والتعفف عمّا في أيديهم وانتفعوا بنا وانتفعنا بهم وكان الذي تزوجت في حضرموت جماعة من النساء نحو سبع لله تعالى منهن الزوجة الصالحة فاطمة بنت أحمد بن عمر المذكور أدخلها[3] علي والدها وهي بنت ثلاثة عشر سنة وكان ما معه إلا هي من البنات[4] وأمها حارثية مطلقة وتزوجها غيره وجاءت له بعيال وتزوج بعدها أحمد المذكور امرأة من أهل مريمة أهل ثروة أسمها محل الزين بنت عبد العزيز يقال لهم آل باصفط بعد أن تزوجها ثلاثة رجال ولا حملت لهم وحيث زوجني بنته واستعففت بها دخلوا علي نسوان منهم زوجتي أم أحمد المذكور اسمها محجوب ولا معها من العيال إلا أحمد المذكور ودخلت زوجته محل الزين معها وقالوا بغينا منك إشارة لأحمد المذكور حيث ما معه ذرية إلا هذه البنت فقلت تكرمتوا عليّ ببنتكم فالله أكرم منكم إيش تطلبون مني فقالوا بغينا له عيال من هذه الحرمة محل الزين لأنها تحته لها نحو عشر سنين فضربت على ظهرها ثلاث ضربات بنية الحمل فحملت بإذن الله تعالى فجاءت بولدين وبنت عمر ومحمد متتابعين وبنت اسمها محجوب ومات[5] رحمه الله وتزوجها بعده من أزواجها الأولين ما حملت لهم وهذا[6] كله من بركة العقيدة في الله وكان هذا[7] الرجل أحمد المذكور رجل صالح وصاحب ثروة وربما يسير في حاجة السلطان بزادة ورددت[8] عليه ماله كله حين جاؤوه[9] العيال

(1) م: والخطراة.
(2) م: صارة.
(3) م: ادخل.
(4) م: البناة.
(5) م: وماة.
(6) م: وهذى.
(7) م: وهذى.
(8) م: ورددة.
(9) م: جلؤه.

وقاموا معي أهل مريمة في بناء[1] بيت في القرية المعروفة بمريمة وهو من جملة[2] من قام بذلك وجاءني من بنته بنت اسمها عائشة [3] وماتت ثم كتب الله زواجه بنت عمتها لي اسمها زبيدة بنت محمد من آل حبوظة امرأة صالحة رغبوا فيَّ لله فحيث دخل في أنفسهم من أجل الزوجة[4] فارقتها وغلبوا أهل زوجتي الأولى فاطمة المذكورة وكانت المتقومة لذلك جدتها محجوب المذكورة من فقراء الزبدة فسرت[5] من بيتي إلى قيدون لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وكان في طريقي قرية تسمى منوب فزوجوني بنتاً لهم اسمها عزيزة بنت عبد الله بن عمر بن فاضل فأقمت معها مدة ولا حملت وتوجهت إلى قيدون وأقمت فيها ما شاء الله وكان بلغهم خبري فلما جئت[6] قيدون قروا على عقيدة من عقائد[7] السنوسي وكان الذي يقرأها علي أحمد بن عمر وهو الآن حي إلى سنة 1036 ستة وثلاثين بعد الألف وزوجني كريمته مريم بنت عمر وحملت مني مالها علي من الحقوق ثم طلقتها وهي راغبة في زواجي لما رأيت معهم من الدنيا ويدي خالية من ذلك فدخلت بضه [8] وأقمت عند الشيخ عبد الله بن عثمان بن أحمد وجابرني غاية المجابرة وزوجني بنت الفقيه عبد الله باعفيف اسمها مريم بنت عبد الله وأقامني وأقامها إلى أن كتب الله رجوعي إلى بيتي في حضرموت بأرض مريمة وكانت تلك السنة هارة[9] في حضرموت وهي سنة ستة وتسعين في القرن العاشر وأنا في بضه جاء جوابي من فاس إلى مصر ووصل إلى مكة عند آل با حميد المجاورين بمكة وأرسلوا الجواب مع واحد منهم إلى

---

(1) م: بنا.

(2) م: جملت.

(3) م: عايشة.

(4) م: الزواجة.

(5) م: فسرت.

(6) م: جيت.

(7) م: عقايد.

(8) بلدة من حضرموت.

(9) كأنها جدباء.

حضرموت وسلمها إلى واحد من آل باكثير في مريمة اسمه أحمد كان مفتاح بيتي عنده وهو مريض في تلك الهارة فسلمها مع شريف من أشراف مريمة وهو إذ ذاك الزمان صغير لا يؤمن على الوادئع[1] ومات باكثير المذكور وجاء الشريف الذي معه الورقة إلى الغرفة وقال راحت علي يوم الجمعة في جامع الغرفة قال لي: مكن الشيخ عبد الله بن محمد بن عمر من مشايخ إل با عبَّاد من يطرب [2] عليها وجعل لمن يضمها بشارة «نصف أوقية مصفى إلى أوقية ولم تظهر عند أحد وذلك والله أعلم لما فيها من ذكر منصبي ومنصب آبائي وفيها ذكر البكري محمد شيخي ولربما يكون في طيها ورقة له من أهلي ومن مشايخي الذين وجهت الكتاب إليهم والحسد كثير في الناس قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدو﴾[3] الآية وإلا كان في المعقول إن ما كان في الورقة ذكر حالي وحال مشايخي ومنصب آبائي وأجدادي والهجرة إلى حضرموت طلباً لزيادة[4] المزيد فخر لأهل الجهة بالوصول إليهم لطلب الزيادة من الله على يديهم فلو وجدوا في الورقة عكس ما فيها من الثناء علينا وعلى آبائنا[5] كان أظهروها وقالوا شوفوا أحوال المغاربة وإنما في الورقة إلا ما هو ذكر لهم الشيخ فيَّ من الثناء الحسن وقمنا بوظيفة ما أثنا علينا به من الاستقامة وامتثالاً لأمر وتقويم السيرة تصديقاً لقوله تعالى رضي الله عنه ثم رجعت إلى مريمة ووجدت[6] العجوز الذي حالت بيني وبين زوجتي ماتت في تلك الهارة وماتت بنتي عايشة ومعها خلق كثير من أهل مريمة وغيرهم وطلبت أحمد المذكور يرد علي زوجتي فاطمة المذكورة فردها علي من غير عقد ولا طلب مني ما يطلبه الناس من أزواج بناتهم كما جرت به العادة في تلك الجهة فبقيت معها وحملت لي بالولد المبارك عابد في شهر ذو القعدة ووضعته يوم الجمعة بعد صلاة الظهر وذلك يوم ستة وعشرين في الشهر

---

(1) م: الودايع.

(2) يطرب بتشديد الراء ينادي.

(3) سورة

(4) م: لزيادة.

(5) م: آباينا.

(6) م: ووجدة.

المذكور من شهور سنة سبع وتسعين في القرن العاشر وسافرت من حضرموت إلى القبلة أريد صنعاء لسبب من الأسباب أوجب ذلك وبمشاورة[1] سلطان الزمان في ذلك وهو السلطان عمر بن بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري فأجابني وقال في جوابه يشق علينا فراقك لما الفناك ولا جاء أحد للجهة من المغاربة مثلك وأنت أعلم بأهل الجهة منا والعزم أصلح لكم إذا كان يحصل لكم به المزيد لأنا ما نكره لكم الزيادة وزودني بما كتب الله وطرحت من الذي زودني كفاية أهلي وولدي عابد فكان هذا[2] سبب مسيري إلى بلاد مارب فلما وصلت إلى الحزمة وكان فيها فقير زاوية مبارك يعرفني قبل وصولي إلى الشيخ فتلقاني إلى قرية من قرى مأرب تسمى براد وجيت أنا وهو إلى الحزمة وبت عنده بأحسن حال وكان أمير المكان الشريف عبد القادر بن ناصر بن أحمد عم الأمير الحسين بن محمد المذكور أوتً فأصبحت المطية مريضة فنحرناها ثاني يوم عند باب بيتي المعروف في الحزمة وكانت أم ولدي عمر من قبايل تلك الأرض رأس من رؤساء القبائل[3] الحكام يقال لهم آل عبد الرحمن من عبيدة أمهم عبيدة بنت مهلهل بن وائل[4] وهم يعودون إلى جنب بن سعد ابن مدحج بطن من بطون كهلان وكانت خلية من الأزواج فخطبها أناس قبلي فامتنعت منهم وأخبرني ثقة من أهل الأرض إنها راغبة في زواجي فأرسلت إلي وليها وهو أخوها لأن أبوها قد مات وكان والدها يعرفني أيام تردّدي من مأرب إلى الشيخ أبي بكر بن سالم فأدخلني أخوها عليها وحال الله بيني وبين صنعاء إلى الآن وذلك في شهر ربيع الأول من شهور سنة 998 ثمان أو تسع وتسعين في القرن العاشر وأقمت فيها من هذه السنة المذكورة إلى سنة أربعة عشر بعد الألف وحملت لي بولد مات صغير اسمه أبو القاسم وحملت بعده بولد وبنت ماتت صغيرة وبقي محمد وكان ميلاده وأخته في سنة ثلاث بعد الألف وجاءت بعده بفاطمة ولدت[5] بعده سنة خمس بعد الألف

(1) م: بشاورة.

(2) م: هذى.

(3) م: القبايل.

(4) م: وايل.

(5) م: ولدة.

وأسقطت كثير وجاءت[1] ببنت ليلة عيد النحر من شهر ذو الحجة من شهور سنة ست بعد الألف وجاءت بعدهم بالولد عمر ولد في رمضان ولد ليلة الأثنين من شهور سنة عشر بعد الألف ثم ما حملت بعد إلى الآن فهؤلاء جملة[2] الزوجات اللاتي عقدت بهن في جهات حضرموت ولا حمل منهن لي إلا فاطمة بنت أحمد بن عمر المذكور وهذه التي[3] في الحزمة أسمها شوق بنت عبد الله بن محمد بن علي بن مسعود بن حيدان وهو أقرب إلى الرميم بن جابر وجدها منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيعة بن سليمان بن عبد الرحمن بن أرواح ابن مدرك الجنبي ثم المذحجي الكهلاني ثم القحطاني وأجداد الولد عابد يعودون إلى الأشرس بن كندة وكلاهما كهلان مدحج وكنده ونسبهم مضبوط في تواريخ الأنساب ثم توجهت إلى مكة سنة أربع عشر بعد الألف وحجيت[4] تلك السنة وكتبت إلى إخواني وأرحامي ومن ترتكت منهم حياً بعدي وها أنا أذكرهم مرتباً منهم موسى بن عابد أخي من والدي وأمه من قبائل زناتة أسمها فاطمة بنت العياط وتحته بنت اسمها حذُهم وولد اسمه عبد الله بن موسى وأمها زهرة بنت علي بن عبد الله بن عمر وتركت أولاد أخي علي بن عابد وأحمد بن علي ومحمد بن علي وولد آخر نسيت[5] أسمه وبنتين عائشة وعلوا وأمهم مريم بنت علي بن عبد الله بن عمر أخت زهرة المذكورة هؤلاء عيال عابد بن محمد وتركت عيال عمتي حليمة بنت محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن محمد وعالية بنت محمد تركت خالي عمر بن يوسف بن عمر وتحته من العيال إبراهيم بن عمر وعبد الله بن عمر ويوسف بن عمر ومحمد بن عمر يكنى أبو مغزا وبنتين حليمة بنت عمر والحرة بنت عمر وأمهم عائشة بنت محمد بن عبد العزيز وهي بنت عمتي حليمة بنت محمد وتركت خالي عبد الله بن يوسف بن عمر وتحته بنت واحدة اسمها سلطانة أمها من بني مخوخ وأما عياله ماتوا وأنا هناك

---

(1) م: جات.

(2) م: جملت.

(3) م: اللتي.

(4) كذا.

(5) م: نسية.

وتركت يحيى بن علي بن عبد الله بن عمر وعياله ثلاثة نسيت أسماءهم[1] وأم العيال زهرة بنت عابد بن عبد الله بن عمر وتركت عيال خالي محمد بن عبد الله بن عمر وهما أحمد ومحمد ابنا محمد وكذلك تركت بنته زهرة هؤلاء المذكورين أرحامي الذين تركتهم[2] أحياء سنة تسعين في القرن العاشر وذكرت بعد هؤلاء عيال أختي زهرة بنت عابد من الأب وهم موسى بن عيسى ومريم بنت عيسى وتركت والدهم عيسى بن جابر من أولاد يحيى [3] بن إبراهيم بن أبي الوكيل منهم أولاد عمي عيسى بن علي بن عيسى وتحته زينة بنت عمة تحتها عيال نسيت أسماءهم وتركت أخاه زكريا بن عيسى يتعلم القرآن وبنتاً أسمها مريم بنت عيسى تركتها وزوجها حياً وهو ابن عمها اسمه علي بن علي بن أحمد واختهم عائشة بنت عيسى بن علي وتركت حياً منهم أيضاً السيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن زكريا بن يحيى بن عيسى وتحته من العيال محمد الكبير وواحد آخر نسيت اسمه أمه عائشة بنت خالي علي وبنت أخرى نسيت أسمها نسيته لطول العهد وعاليه بنت محمد وهي أيضاً بنت عمتي حليمة شقيقة أبي وتركت زوجها أحمد بن عابد بن عبد العزيز وتحتها عيال له نسيت أسمائهم وأم أحمد أسمها محجوب أخت أبي من الأم وتركت أولاد عبد الكريم من أولاد يحيى بن عيسى نسيت أسمائهم أمهم عائشة بنت عمي عيسى وكذلك تركت أولاد زيد وهم محمد بن زيد وأبي بكر بن زيد ولهما أخت نسيت أسمها هؤلاء الذين ذكرتهم وتركتهم أحياء سنة تسعين في القرن العاشر وذكرت من أولاد يحيى بن إبراهيم جماعة نسيت أسماءهم حال الكتاب وهذا من جملة ما ذكرت لهم من محروس مكة حرسها الله تعالى وذكرت لهم أن كتابكم وصل إلى حضرموت إلى المكان الذي أنا فيه في قرية مريمة من قرى حضرموت وأنا إذ ذاك في تلك السنة غايب في مكان آخر وسلم الكتاب إلى رجل كان يقرأ علينا

(1) م: اسماءوهم.
(2) م: احيا.
(3) م: يحيا.

عقائد[1] السنوسي فمرض وأعطى الكتاب لمن يوصله إلينا فقال الرسول الذي معه الكتاب أنه راح علي ولم يصل إليَّ حتى تحيطوا بذلك علماً أنه ما وصل إليَّ وإذا أردتو[2] أن تكتبوا إليَّ كتاباً يكون إلى مكة إلى رجل يكون صالح مجاور بمكة اسمه عبد الرحمٰن بن عبد الله الخطيب باوزير قبيلة من الفقراء مباركين وغالبهم في الداوودية في مكة لأنه محب لنا وقرأ عليَّ عقيدة السنوسي وذكرت لكم الشيخ الذي يطوف علي فوجدناه شريف من أهل حضرموت وذكرت لكم ما قال لي منذ حين واجهته إلى أن فارق الدنيا على ما ذكرته في هذه السيرة وذكرت لكم ما جاءني[3] من العيال على ما ذكرتهم في هذه السيرة وذكرت أمهاتهم من قبائل[4] حضرموت ثم وجهت الكتاب مع شيخ ركب من ذرية الشيخ أحمد بن يوسف الملياني ورجعت من مكة آخذاً طريق تهامة ووادي الدواسر إلى بلاد عدوان وأحرمنا من ميقات أهل المشرق ثم توصّلت بعد زيارة[5] الصالحين الذين في التهائم[6] إلى الحزمة ودخلتها في أول ربيع الأول سنة تسعة عشر في القرن الحادي عشر ورجعت أيضاً إلى مريمة بعد غيبتي منها مدة لأن خروجي منها سنة تسعة وتسعين في القرن العاشر ولا رجعت إلا على هذا التاريخ المذكور نحو واحد وعشرين سنة ثم حملت زوجتي فاطمة بنت أحمد، وأسقطت ثم حملت بعد ورجعت إلى الحزمة وكانت طريقي على شبوة فتزوّجت فيها بامرأة[7] من آل بامدرك اسمها حليمة بنت حسين بن علي ولم تحمل معي وطلقتها وسرت من شبوة إلى الحزمة لأمر أوجب ذلك لأجل العيال الذين فيها صغار ولا فيها رحم إلا أشراف حسنيين أبناء عمنا هم على إبراهيم بن الحسن المثنى ونحن على إدريس بن عبد الله بن حسن المثنى وأمنا وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي

---

(1) م: عقايد.

(2) عامية، وفصيحها أردتم.

(3) م: جاني.

(4) م: قبايل.

(5) م: زيارت.

(6) م: التهايم.

(7) م: بامراءة.

السبط وهم الذين أهلونا من ذلك الزمان الذي ماتت مطيتي فيه على ما تقدم ذكره إلى ست وثلاثين بعد الألف.

ثم جاءت فاطمة المذكورة بولد سميته بجدي[1] أبي الوكيل ولا رايته ولد وأنا في الحزمة وكتبوا لي بولادته وقلت لهم سمّوه أبي الوكيل لأني رايت أبي الوكيل جدي جاءني إلى الحزمة فسميته بإشارته ومتعنا الله به أياماً وأشهراً. ثم توفي[2] إلى رحمة الله تعالى وبلغ ولدي محمد بن يوسف وهو الكبير من عيال شوق بنت عبد الله المذكورة الذي في الحزمة وزوجته بنت من أخواله اسمها زهرة بنت أحمد بن راشد بن عامر بن مسعود ورجعت إلى مريمة بعد ما تَوَطَّنَ مده بعد زواجه[3] وأقمت فيها ما شاء الله وجاء الولد عابد من الهند بعدما غاب غيبة طويلة سار من عند والدته فاطمة بنت أحمد الذي بمريمة إلى الهند ولا جاء إلا سنة أربع وعشرين بعد الألف وزوجناه بنتاً من أخواله بني حارثة وجاءت له بولد سميناه محمد بن عابد وذلك ولدته بعد موت ولدي محمد بن يوسف بن عابد الذي في الحزمة لأنه مات في آخر رجب من شهور سنة خمس وعشرين بعد الألف وولد للولد عابد ولد أيضاً بعد موت أخيه محمد الكبير وتوفي الولد عقب عمه محمد المذكور جمع الله بيننا وبينهما في مستقر رحمته ثم رجعت إلى الحزمة بعد موت الولد محمد إلى الحزمة وأقمت فيها ما شاء الله راضين بقضاء الله تعالى وبما حكم علينا بالإقامة فيها وفي غيرها من جهات حضرموت وقنعنا الله من الدنيا ولا شغلنا بها إلى أن بلغن بناتي فاطمة وسلطانة فزوجتهما من الأشراف أبناء عمنا المذكورين فاطمة الكبيرة زوجتها أحمد بن منيف بن ناصر من الجودة بطن من بطون الأشراف الحمزات أهل أمر ورياسة في جهاتهم وسلطانة ناصر بن حاجب بن هادي بن ناصر بن حاجب بن هادي بن ناصر فجاءت له بولد ومات زوجها ومات ولده بعده. وأما فاطمة جاءت لأحمد المذكور ببنت وماتت وجاءت له بولدين آخرين كتبت هذه السيرة في سنة 1036 ستة وثلاثين بعد الألف

---

(1) م: تجدي.

(2) م: توفا.

(3) م: الزواجة.

وهم وأمهم وزوجها أحياء ثم زوجت ولدي عمر زوجة أخيه محمد الذي ماتت في الحزمة زهرة المذكورة بنت أحمد وجاءت له بولد في سنة واحد وثلاثين بعد الألف سميته عبد الله بن عمر بن يوسف.

ثم رجعت إلى مريمة أنا وولدي عمر بن يوسف نجدّد عهداً بصهورنا[1] لتعريف الولد بهم وكان صنوه عابد إذ ذاك غائباً[2] بعدما حج وتوجه إلى تهامة وإلى اليمن ثم إلى الحبشة وإلى بلاد السودان وغيرها لأرزاق له مكتوبة وخطوات له معلومة وتعرف بأناس وزار[3] من في هذه الجهات من الأولياء[4] والعلماء منهم النجاشي الصحابي ومنهم أبو الحسن الشاذلي في حميثره[5] ثم زار معي عمر قبر النبي هود عليه السلام ورجعنا إلى قبر الشيخ أبي بكر بن سالم وعياله السادة الكرام السيد الشيخ حسين بن أبي بكر والشيخ حسن بن أبي بكر والسيد الشيخ عبد الله بن أبي بكر ولدته أمّه بعد موت أبيه الشيخ أبي بكر بن سالم وأمه وأم ولدي عمر، بنات عم من آل الرميم بن جابر وعيال إخوانهم السيد عمر بن الحامد، وكذلك عيال الشيخ عمر المحضار وغيرهم، نفع الله بهم.

ورجعنا إلى محروس تريم وزرنا من فيها من الأولياء الأحياء والأموات خصوصاً الشيخ الفاضل العالم العلامة قلم الله المفيد السيد الشيخ زين العابدين بن سيدنا[6]، وشيخنا ومن أجازنا على طريق القوم الكرام عبد الله بن شيخ وكذلك الشيخ محمد بن علي ومن بعده من ذريته الكرام وأقمنا في تريم عندهم نحو ثمانية أيام وكل يوم نزداد لنا بزيارتنا إيائهم الأحياء والأموات أحوالاً لا تحصيها العبارة ولا تفهمها الإشارة وكسانا السيد زين العابدين من مفاخر الكساء الذي يليق بنا وجدّد ما مات من آثار آبائه الكرام، لكن[7] كما قيل فيه

(1) الفصيح: أصهار.

(2) م: غايباً.

(3) م: وزرا.

(4) م: العلما.

(5) قلت مبرة في عيذاب من مصر.

(6) كذا في الأصل لم نذكر اسم والده.

(7) م: لاكن.

وفي أمثاله شعراء «شنشنة أعرفها من أحزمي» «ومن يشابه أبه فما ظلم»[1] ثم رجعنا إلى مريمة إلى بيتنا وسيرنا الولد عمر بن يوسف إلى الحزمة إلى عند أمه وزوجته وإخوانه[2] وجاءت له بنت وأنا غائب[3] بمريمة وقالوا لي في كتابهم أسمها عندك فسميتها بوالدتي منصورة المتقدم ذكرها ثم جاءت له بنت أخرى[4] أسمها سلطانة بنت عمر بن يوسف بن عابد المذكور ولدت[5] في سنة ست وثلاثين بعد الألف بتاريخ هذه الرسالة ثم جاء الولد عابد من سفره ودخل صنعاء ومر على إخوانه في الحزمة وجدّد بهم عهداً ثم توجه إلينا إلى مريمة وذلك في آخر شهر شوال وسُرِرنا بوصوله لأنها بعد غيبة طويلة فأهلناه بزوجه وهي بنت خالته أسمها فاطمة بنت أجود من بني حارثة الغر ووالدتها خالة[6] الولد عابد اسمها محجوب بنت أحمد رزقهم الله ذرية صالحة يتعفف بها لقوله ﷺ من تزوج كمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر ولقوله عليه السلام «تناكحوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» ثم أن بنتي سلطانة التي مات عنها زوجها ومات ولده بعده تزوجها بعد الزوج الأول المذكور وهو ناصر بن حاجب تزوجها عمه عمر بن هادي في آخر رجب من سنة ست وثلاثين بعد الألف رزقهم الله ذرية صالحة وهذا ما سمح به الوقت مع الاختصار لأسباب ما جاء بي من المغرب إلى المشرق وإلى جهات حضرموت إلى يوم السبت وأربع خلون في شهر ذي القعدة من شهور سنة ست وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وقد جعلتها في آخر سيرة جدي الإمام إدريس الأكبر وما كان سبب انتقاله إلى المغرب وكذلك نسبي إلى الإمام إدريس وكلهم أجدادي المذكورين في سلسلة نسبي في المغرب ولا تغرّب منهم إلا أنا للسبب الذي

---

(1) شِنشنة أعرفها من أخزم: مثل عربي قديم، وكذلك: ومن يشابه أبَه فما ظلم، عجز بيت سار مثلاً. انظر «مجمع الأمثال» للميداني.

(2) م: وجات.

(3) م: غايب.

(4) م: اخرا.

(5) م: ولدة.

(6) م: خالت.

ذكرته فيما تقدم، ولأجل الذرية التي في صلبي والذرية لعيالي وعيال بناتي في الجهة الحضرمية في الحزمة وفي مريمة والحزمة بالحاء المهملة والزاي والميم والهاء سميت بذلك لسبب إن أحداً من أهلها الذي أسسوها في الإسلام أراد أن يحرقها بحزمة حطب وإلاّ كان يقال لها ميثا من أعمال مأرب حول مدينة سبها الأكبر وأهلها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، جمعت هذه السيرة لتبقى لمن بعدي من ذريتي وإخواني في الله تعالى تبصرة لهم عند أهل المغرب من أرحامي وغيرهم والله عليّ من الشاهدين لازدت ولا نقصت في نسبي وغيره وجميع ما ذكرت من الرسائل[1] هذه تجدها متقاربة الألفاظ واحدة المعنى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين كتبها العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن المعلم عبد الله بن المعلم أحمد بن محمد بن المبارك القيفي عفا[2] الله عنهم من املاء السيد الشريف الفاضل العالم الورع الزاهد يوسف بن عابد بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن عيسى بن الشيخ أبي الوكيل ميمون بن عيسى بن موسى بن عزوز بن[3] عبد العزيز بن علال بن جابر بن[4] عباد بن القاسم بن أحمد ابن محمد بن إدريس بن الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ويقال له المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط رسول الله ﷺ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك في بيته المعروف في مريمة حرسها الله وحرس سائر[5] جهات حضرموت وساير بلاد الإسلام.

خاتمة

ما ذكرناه من أول ما نقلناه من ابتداء هجرة[6] الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل على ما سبق ذكره فيما تقدم إلى آخر الكتاب كتابنا الذي ذكرنا

---

(1) م: الرسايل.
(2) م: عفى.
(3) م: ابن.
(4) م: ابن.
(5) م: ساير.
(6) م: هجرت.

فيه الأسباب الموجبة للنقلة إلى جهات حضرموت والحقنا سيرتنا بكتاب بهجة[1] المحافل وبغية الأماثل للإمام العالم المحدث إمام المحدثين والمحققين أوحد عباد الله الصالحين يحيى بن أبي بكر العامري لما في كتابه من فوائد[2] الأعمال والأخبار وذكر الهجرة قال: فصل[3] كانت هجرة[4] الحبشة أول هجرة في الإسلام وبعدها الهجرة الكبرى[5] [إلى المدينة] ثم حكم الهجرة باق إلى الآن متى وجد معناها وهو الفرار بالدين والعجز عن مقاومة المشركين قال: ونقل القرطبي عن ابن العربي يعني أبي بكر القاضي ابن العربي المالكي المعافري في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً[6]﴾ الآية قال فائدة حسنة وأنا أوردها على [معنى][7] ما ذكر متحرياً أي قاصداً لبعض اللفظ قال يرحمه الله قسم العلماء رحمهم الله الذهاب في الأرض قسمين هرباً وطلباً الأول الخروج من دار الحرب يعني الهجرة منها إلى دار الإسلام وهي باقية مفروضة إلى يوم القيامة فإن بقي في دار الحرب عصى ويختلف في حاله، الثاني الخروج من أرض البدعة التي يعجز عن تغييرها، الثالث الخروج من أرض غلب فيها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم، الرابع الفرار من الأذى في البدن رخصة من الله تعالى، قال تعالى مخبراً عن نبيه موسى فخرج منها خائفاً يترقب، الخامس الخروج من البلاد الوخيمة وقد أذن ﷺ حين استوخموا المدينة أن يخرجوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون لقيام الدليل عليه. السادس خوف الأذى في المال فإن حرمة[8] مال المسلم كحرمة[9] دمه والأهل آكد منه، وأما قسم الطلب فينقسم قسمين طلب دين ودنيا: فطلب

---

(1) م: بهجت.

(2) م: فوايد.

(3) بهجة المحافل 102.

(4) م: هجرت.

(5) زيارة من بهجة المحافل.

(6) الآية: 100 سورة النساء.

(7) ساقط من الأصل وأضفناه من بهجة المحافل.

(8) م: حرمت.

(9) م: كحرمت.

الدين يتعدد بتعداد أنواعه[1] إلى تسعة أقسام الأول سفر العبرة بدليل قوله تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾[2] الثاني سفر الحج عند الاستطاعة فهو فرض والأمر ندب، الثالث سفر الجهاد وله أحكام، الرابع سفر المعاش فقد يتعذر مع الإقامة فيطلب كفايته بصيد أو احتطاب أو احتشاش وهو فرض، الخامس سفر التجارة لطلب زائد[3] على القوت وذلك جائز فضل من الله تعالى، السادس طلب العلم وفضله مشهور، السابع قصد البقاع قال ﷺ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد يعني بها مكة والمدينة وبيت المقدس والله أعلم الثامن: الثغور للرباط بها وثوابه عظيم، التاسع: زيارة[4] الإخوان ونفعها حاصل وثوابها واصل والله أعلم انتهى ما ذكره العامري، ونحن إن شاء الله لا نخلوا مما ذكره العامري من هذه الأسفار وانظر إلى قوله تعالى فيما أخبريه عن نبيه موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام للإفادة التي أمره الله بها على يد الخضر عليه السلام مع أن موسى نبياً مرسلاً[5] واتخذه كليماً وأنزل عليه التوراة[6] ثم أمره بالإفادة مع كمال الرسالة وتبلغيها حتى قال له الخضر «إنك لن تستطيع معي صبراً» لأن موسى عليه السلام مشرع فلما قال له ذلك قال ستجدني إن شاء الله[7] صابراً وذلك بعد النصب في السفر على ما أخبره الله به عنه فلما فعل الخضر الذي أمره الله به «وما فعلته عن أمري» الآية قال: «هذا فراق بيني وبينك، هذا تأويل ما لم تستطع عليه صبراً» ثم أخبره بتأويلها وكذلك لا يزال الأخيار يسافرون للإفادة من المغرب إلى المشرق وغير ذلك وذكر الدميري في «حياة[8] الحيوان الكبرى» في باب الكاف عند أن ذكر الكلب قال في مناقب

---

(1) بهجة المحافل: وطلب الدين تتعدد انواعه.

(2) الآية: 9 سورة الروم.

(3) م: زايد.

(4) م: زيارت.

(5) م: نبياً مرسلاً.

(6) م: التورات.

(7) م: انشاء.

(8) حياة الحيوان 283:2 .

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه بلغه إذ رجلاً من وراء النهر عنده احاديث ثلاثة فرحل الإمام أحمد إليه فوجد شيخاً يطعم كلباً فسلم عليه فردا عليه السلام ثم استغل الشيخ بإطعام الكلب فوجد الإمام أحمد في نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ من إطعام الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال: كأنك وجدت[1] في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال: نعم فقال الشيخ حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قطع رجاء من أرتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة[2] «فلم يلج الجنة» وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب خفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي مني يوم القيامة فقال الإمام أحمد هذا الحديث يكفيني انتهى والله أعلم، وكذلك كان رجائي فيمن قصدته في جهات حضرموت حرسها الله وسائر[3] بلاد المسلمين وهو الشيخ أبا الفخر بكر سالم بدلالة من دلني عليه نفع الله بهما على ما ذكرناه فيما تقدم لأني قلت له رضي الله عنه: سألت الشيخ محمد البكري عن اسم الله الأعظم على ما ذكرته فيما تقدم وأنا الآن يا شيخ ما نقنع منك بالاسم الأعظم فقال الشيخ: وما تريد غير الاسم الأعظم؟ قلت له: أريد منك ما أراد الشيخ عبد السلام بن مشيش لمريده الشيخ أبا الحسن الشاذلي حيث أراد يطلبه الاسم الأعظم قال في جوابه جعلناك الاسم الأعظم، فكان الشيخ ينفق من الغيب ومن الجيب أو كلام هذا معناه لأني ما قصدت الجهات الحضرمية الا إلى الله تعالى وإليه لأن كل مسافر لا بد له من نتيجة ما جاء به في سفره وهي الربح كقول بعضهم شعراً:

مـا بين تـذليـل وذل تعـطه ... ويحيـر في أفهامهـا النحـريـر
هي نقطة الأكوان إن جاوزتها ... كنت المـراد وعندك الإكسيـر

فهـذه المرتبـة مرتبـة الكمـال وهي نهـايـة[4] الـطالبين في قصـدهم

---

(1) م: وجدة.

(2) انظر الحديث في كشف الخفاء والإلباس 375:2.

(3) م: وساير.

(4) م: نهايت.

الأخذ من الله بواسطة[1] المشايخ على ما ذكره شيخ شيوخنا أحمد المعرف بـزروق المغربي البـرنسي ثم الفاسي نفـع الله به ممـا يرويـه عن شيخـه أحمد بن عبد القادر الحضرمي ابن عقبة قال لأصحابه يوماً: «أتحبون الأخذ من الله بواسطة أو بغير واسطة، فسكت القوم وقالوا: الجواب من الشيخ فقال الشيخ الأخذ بواسطة خير من غير واسطة لأن الشيخ يأخذ من الله تعالى على قدر همته. لا على قدر همة المريد أو كلام هذا[2] معناه فلهذا ذكرت حكايـة الشيخ عبـد السـلام بن مشيش مـع تلميـذه الشيـخ أبي الحسن الشـاذلي والشيـخ عبد السلام بن مشيش وكلهما في بلاد تسمى جبال غمار وحكايته هو والشيخ عبد السلام ذكرها تاج الدين ابن عطاء الله في كتابه «لطايف المنن»[3] وغيرها وهو الذي أمره بالتوجه إلى قرية من قرى من المغرب الأدنى حول قيروان وقابس وإفريقية فكان رضي الله عنه فيها حين لقّب بالشاذلي وإنما أصله من بلاد غمار. قال قال لي شيخ من مشايخ المغرب وهو الشيخ عمر البطوي حيث رآني معلقاً بالوقوف على أبواب الصالحين في المغرب قال لي: يا يوسف إنك تريد مقام الحسن الشاذلي، قلت له: يا سيدي هو ما يجوز السؤال للمرتبة التي نالها أبو الحسن الشاذلي من الله تعالى بواسطة[3] شيخه عبد السلام بن مشيش فقال نعم يجوز ذلك، فقلت له: إن كان السؤال لهذه المرتبة محال كمرتبة النبوة والرسالة فذلك لأن المرتبة التي يجوز لمثلنا لها مرتبة القرب من الله تعالى وهو مقام البقاء بالله بعد الفنافيه كما قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إلى آخر الحديث»[4] يخرَّج الحديث بمعنى التصرف بالله لا بنفسه لأن مقام العبودية الفقر والعجز والضعف والذل فقابلك بـأضداد وصفـك قابـل الفقر بالغنى[5] به والعجز بقدرته والذل بعزته والضعف بقوته فهذا مراد الصوفية بقولهم

---

(1) بواصطت.

(2) م: هذى.

(3) لطائف المتن: 77.

(4) انظره في إتحاف السـادة المتقين 1:403 والمشهور للفظ ما يزال الخ. انظر في الإتحافات: 60.

(5) م: بالغنا.

إنما هي عبودية تولتها ربوبية أو كلام هذا معناه فلذا اختلفوا الناس في معنى الوراثة المحمدية فمنهم من يقول هي خاصة بيت النبوة لأنهم الظاهرين ثم اختلفوا بين البطنين الحسن والحسين فقال بعضهم إنها في عقب الحسن لأنه خلع على تمام قوله ﷺ «الخلافة[1] ثلاثون سنة ثم يكون بعد ذلك ملكاً عضوضاً» وذكر أهل الاعتناء بذلك قوله ﷺ إن الأئمة[2] من قريش[3] يخرّج الحديث وغير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن» خالف أبا العباس المرسي فقال لا تختص بأهل البيت ورأيت في كتاب «عنقاء مغرب»[4] للشيخ محمد بن علي بن العربي الحاتمي على ما ذكره أبا العباس المرسي واستشهد بقوله ﷺ سلمان منا أهل البيت[5] يخرج الحديث وانجر الكلام في هذه الخاتمة لأن الشيء بالشيء يذكر والحديث شجون بمعنى أنه يرتبط بعضه ببعض وقد رأيت قصيدة للشيخ الشهرزوري في قصيدته التي أولها:

لمعت نارهم وقد عسعس الليل(م)	وملّ الحادي وحار الدليل
فتأملتها وفكري من البيـ	ـن عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى	وغرامي ذاك الغرام الدخيل

إلى آخر القصيدة وترجم ابن خلكان[6] للشيخ المذكور وذكر القصيدة بكمالها وشرحها شيخ من مشايخ اليمن يقال له الأمين ابن الصديق المرواحي بلداً والشافعي مذهباً وقد حصلت القصيدة وشرحها لما فيها من الإفادة وتضمنت حال مطلبي الذي جئت بسببه إلى مشايخ المشرق الذي آخرهم الشيخ أبو بكر بن سالم نفع الله به وطريق الصوفية مبنية على التسليم ولهذا قال بعضهم:

---

(1) حديث أنظره في موارد الضمآن: 1531 وفتح الباري 177:8.

(2) م: الأليمة.

(3) حديث مشهور انظره في المسند لأحمد بن حنبل 183:3 والبيهقي 131:3.

(4) عنقا المغرب. طبع لأول مرة سنة 1373.

(5) حديث أنظره في ابن عدي 598:3 والطبراني الكبير 262:6 ومجمع الزوائد 118:9.

(6) ابن خلكان 49:3.

التصديق بطريقتنا هذه ولاية؟ وإنما ذكرنا هذا لئلا[1] يعترض علينا أحد في سيرتنا هذه مما جاءني[2] من المكاشفات من مشايخي رضي الله عنهم من الأخبار بالمغيبات كقول الشيخ أبو بكر بن سالم نظرتك في صلب أبيك عابد. وذلك في آخر عمره في أول الشهر الذي انتقل فيه إلى رحمة الله[3] تعالى وكذلك قول شيخه شهاب الدين: لا يموت ولد سالم بن عبد الله حتى يأتي إليه من رجال المغرب والمشرق وقد وقع كما قال الشيخ. وذكرنا ذلك فيما تقدم، وكذا هو قول الشيخ محمد البكري رأيت الحسين مكتوب في جبينك وعادلك شيخ غيري وأنا صاحبك وكذلك قوله يوم استخبرني عن وادي دراء بأقصى بلاد المغرب. وحكيت له بما رأيته فيها فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: رفع عين الحجاب فرأيتها كما قلت يا مولاي الشريف لأنه خاطبني بلسان أهل المغرب فإنهم ما يسمون الأشراف إلا يا مولانا الشريف، وغير ذلك من المشايخ الذين وقفنا عندهم في بلاد المغرب فإنهم يرون بنور الله «والأرواح جنود مجندة» وقد ذكر ابن عطاء الله في كتابه «لطايف المنن» في مناقب شيخه أبا العباس المرسي ما يعاضد كلامنا مما نقلناه من أحوال مشايخنا أعني أهل المغرب والمشرق «فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر» ثم إني أود بالرجوع إلى أوطاني وبلاد الأباء لكن حكمت علي المقادير السابقة في الأزل بمدة هذه الغربة الطويلة حتى احتجت إلى تدوينها في الطروس خيفة من حضور الأجل قبل بلوغ الأمل كما قال أمرؤ القيس شعراً[4]:

وقـد أوطيت على كـل أرض   وقـد أتعبت نفسي بـاغتـراب
وقد طوفت في الآفـاق حتى   رضيت من الغنيمـة بـالإيـاب

وقد تقدمت مني رسائل[5] في مثل رحلتي وآخر الرسائل[6] هذه وبينها على

---

(1) م: ليلا.

(2) م: جاني.

(3) م: رحمت.

(4) لم أجده في ديوانه والذي فيه:

وقـد طـوفـت في الآفـاق حتى   رضـيت مـن الغـنيمـة بـالإيـاب

(5) م: مكتوب. (6) م: قيل امره القيس.

ما جاء إلي من كتاب الأمير الشهير الشريف الحسين بن محمد على ما تقدم ذكره، مما نقله إلي من كلام جده المنصور بالله الذي تقدم ذكره وهذا الإمام المنصور عبد الله بن حمزة إمام كبير في زمانه[1]،قال العامري في كتاب «الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة»[2] في حرف العين عند ذكره لسيدنا علي بن أبي طالب وفي ترجمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فذكر من ذرية فاطمة عبد الله بن الحسن المثنى وصنوه إبراهيم بن الحسن المثنى وأمهم فاطمة بنت الحسين وذكر عقب كل واحد منهم في جهات الإسلام إلى أن ذكر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة قال العامري ثم بعده الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد ابن مطهر بن علي بن أحمد بن يحيـى الهادي ابن الحسين بن القاسم الرسي المذكور [في] أجداد الإمام المنصور وتوفي في سنة ستة وستين وخمس مئة[4] بعد أن كف بصره ودفن بحيدان وبجنبه أخوه لأمه العلامة نشوان بن سعيد الحميري قال ثم الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ابن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم المتقدم ذكره بويع له سنة أربع وتسعين وخمسمئة[5] زمان المستضيء بالله وأقام في الإمامة عشرين سنة وكان واحد الزمان عظيم الشأن ولم ينقل عن أحد من الأئمة قبله ولا بعده ما نقل عنه وفي زمنه دخل اليمن جد ملوك اليمن الغسانيين وتوفي سنة أربع عشر[6] وستمائة وقبره مشهور بظفار الأشراف الذي بناه يزار ومما ذكره عنه قال العامري بعد كلام في ذكر الأئمة ونصرتهم للدين وذبهم عن الصحابة قال: ويصدق ذلك ما وقفت عليه من كلام الإمام المنصور بالله في جواب المسائل التهامية قال: فإنه رضي الله عنه أثنى عليهم يعني الصحابة على الإجمال وعدد مزاياهم على غيرهم ثم قال هم خير الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده فرضي الله عنهم

---

(1) كذا عن المؤلف كلام مختلط غير مترابط والضمير في زمانه هنا يعود إلى المنصور نفسه.
(2) الرياض المستطابة: 29.
(3) م: الرسايل.
(4) م: مايه.
(5) م: خمسماية.
(6) م: أعشر.

وجزاهم عن الإسلام خيراً ثم قال: هـذا[1] مذهبنا لم نخرجه غلطة ولم نكتم سواه تقية ومن هو دوننا مكاناً وقدراً يسب ويلعن ويذم ويطعن ونحن إلى الله سبحانه وتعالى من فعله براء وهذا[2] ما يقتضي به علم آبائنا منا إلى علي رضوان الله عليهم إلى قوله: وفي هذه [الجهة][3] من يرى محض الولاء سب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والبراءة منهم فتبراء من محمد ﷺ من حيث لا يعلم وأنشد شعراً:

إن كنت لا أرمي وترمي كنانتي جائحات النبل كشحي ومنكبي[4]

انتهى كلامه رحمه الله تعالى فلهذا اخترنا ما نقل إلينا من كلامه في هجرة[5] الإمام إدريس إلى المغرب فهو ثقة رضي الله عنه ثم ذكر السمهودي رضي الله عنه في الإمام زيد بن علي رضي الله عنه قال ولم تعد الرافضة من أئمة[6] أهل البيت النبوي زيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهم وهو الذي تنسب إليه الزيدية وكان إماماً جليلاً من الطبقة الثالثة من التابعين كما قاله ابن سعد[7] وكان في دولة هشام بن عبد الملك بايعه ناس كثير بالكوفة وطلبت منه الرافضة أن يتبرّأ[8] من [الشيخين فأبى و] زيد هذي الذي صلب وهو يقول للناس هكذا[9] تفعلون بولد [رسول الله]. وروي غير واحداً أنهم صلبوه مجرداً فنسجت له العنكبوت على عورته من يومه انتهى فهذا الإمام الذي تنسب إليه الزيدية وصار له مذهب[10] مستقل قال زروق في كتابه البدع والحوادث: أن الزمخشري كانت فروعه على مذهب زيد بن علي وكانت أصوله على مذهب المعتزلة و ﴿كل

(1) م: هذي.

(2) م: وهذى.

(3) زيادة من الرياض المستطابة: 300.

(4) البيت غير مستقيم.

(5) هجرت.

(6) م: أليمة.

(7) م: سعد.

(8) م: يتبراء.

(9) م: هكذى.

(10)م: مذهباً.

حزب بما لديهم فرحون﴾[1] وكل أهل مذهب يدعي[2] الصواب مع أنهم يصلون إلى القبلة ولا يكفر أحد من أهل القبلة إلا من خرج ببدعته من الإسلام إلى الكفر كما قال الإمام اليافعي عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه «الإرشاد»:

وقبلتنـا من أمّهـا لا نكفـر ... إلاّ بسوء تأثير الطبـائع قـابل

وهو قائل نحو خمسة وعشرين بيتاً في التوحيد في تنزيه الباري تبارك وتعالى كما هو مذكور في علم العقائد[3] وقال عمر الخطاب رضي الله عنه في قيام رمضان: نعمة البدعة هذه وقال ابن الأثير في كتابه «نهاية الغريب»[4] في ترجمته على حرف الباء والدال البدعة البدعة «بدعتان» بدعة هوى وبـدعة[5] ضـلال فما كـان في خلاف مـا أمر الله بـه ورسولـه فهو في حيـز الذم. والإنكار وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وخص عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثواب[6] فقال «من سنَّ سنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»[7] وقال في ضده «من سنَّ سنة سيئة كان له وزرها ووزر من عمل بها»[8] وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ومن القول قول عمر: نعم البدعة هذه لما كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح[9] فسمّاها[10] بدعة ومدحها لأن النبي ﷺ سنها لهم وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس لها ولا كانت في زمن أبي بكر

---

(1) آية.

(2) الإرشاد والتطريز: 218.

(3) م: العقايد.

(4) النهاية في غريب الحديث 106:1.

(5) م: بدعت.

(6) م: ثواباً.

(7) حديث انظره في الدارمي: 130:1.

(8) انظره في مسند أحمد بن حنبل 361:4.

(9) النهاية: 106:1. (10) م: فسما.

وإنما جمع الناس عليها عمر وندبهم إليها فلهذا سماها بدعة وهي في الحقيقة سنة لقوله عليه السلام[1] عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقوله عليه السلام واقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي هذا التأويل يحمل الحديث الآخر كل محدث بدعة وإنما يريد به ما خالف أصول الشريعة ولم توافق السنة» وأكثر ما تستعمل البدع في الذم عُرفاً انتهى، واعلموا حفظكم الله إني ذكرت في هذه الخاتمة سبب هجرتي إلى حضرموت وإني متمسك بمذهب آبائي[2] وأجدادي بالمغرب وإني صحبت مشايخ على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ومذهبنا في المغرب على الإمام مالك رضي الله عنه حتى قال لي بعض من عيال مشايخي هل أمرك الشيخ بالخروج إلى مذهبه فقلت له: ما أمرني ولو أمرني جوّبت[3] عليه بمقتضى ما يناسب كلامه لأن هذه المذاهب الأربعة كل واحد منهم أخذ اليد من صاحبه لأن الشيخ عبد القادر حنبلي المذهب وغالب المشايخ الذين أخذوا عنه اليد من أهل المغرب وأهل اليمن غالبهم شافعية وأهل المغرب غالبهم مالكية وأهل الروم والهند غالبهم حنفية وكلهم على هدى من ربهم وكذلك الشيخ أبو مدين المغربي وجه الخرق إلى جهات حضرموت وهو مالكي وهم شافعية ولم يأمر أحداً يخرج عن مذهبه إلى مذهب مالك الذي هو مذهبه وذلك في فروع الفقه وأما الأصول فهي واحدة وكذلك عيالي وبناتي على مذهب الإمام مالك وحصلت لهم من كتب الفقه على مذهب الإمام مالك ما يتمسكون به بالاقتداء[4] بالوسائط[5] الذين هم واسطة بيننا وبين الإمام مالك رضي الله عنهم لأنهم كلهم على هدى من ربهم وصار كل من الف مذهباً وهو ما ربّاه[6] عليه الآباء والأجداد حثهم على ذريتهم في أي جهة

(1) أنظره في: أبي داود في السنن كتاب السنة الباب الخامس. . والترمذي: 2676 وغيرهما.
(2) م: اباءي.
(3) هـ: جاويت.
(4) م: بالأفندي.
(5) م: بالوسايط.
(6) م: ربا.

كانوا من الجهات فلهذا[1] فالإمام الغزالي في كتابه «ميزان العمل»[2] قال بيان معنى المذهب في اختلاف الناس فيه لعلك تقول في كلامك في هذا[3] الكتاب انقسم الناس إلى ما يطابق مذهب الشافعية وإلى ما يطابق مذهب الظاهرية وإلى ما يطابق مذهب الأشعرية وبعض المتكلمين ولا يفهم الكلام إلا على مذهب واحد في الحق فما الحق من هذه المذاهب فإن كان الكل حقاً فكيف يتصور هذا وإن كان بعضه حقاً فما ذلك البعض فيقال لك إذا عرفت حقيقة المذهب عرفت أن السؤال عن المذهب لا ينفعك قط إذ الناس فيه فريقان فريق يقول المذهب اسم مشترك لثلاثة مراتب إحداها[4] ما يتعصب له في المباحات والمناظرات والآخر ما ينطق به في التعليمات والإرشادات، والثالث علم يعتقده الإنسان في نفسه مما انكشف له من النظريات ولكل كامل ثلاثة مذاهب بهذا الاعتبار، فأما المذهب بالاعتبار الأول فهو نمط واحد، وهو مذهب الآباء والأجداد، ومذهب أهل البلد التي فيه النشوء وذلك يختلف [باختلاف] البلاد والأقطار ويختلف بالمعلمين فمن ولد في بلاد المعتزلة أو الأشعرية أو الشافعية أو الحنفية انغرس في نفسه من صباه التعصب له والذبُّ دونه والذم لما سواه فيقال هو أشعري المذهب أو معتزلي أو شافعي أو حنفي ومعناه أنه يتعصب له أي ينصر عصابته المتظاهرين بالموالاة له ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضاً ببعض ومبدأ التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة باستتباع العوام ولاتبعث دواعي العوام إلا بجامع عمل على التظاهر والتناصر فجملت المذاهب في تفصيل الأديان جامعاً فانقسم الناس فرقاً، وتحركت غوائل[5] الحسد والمنافسة واشتد بغضهم واستحكم به تناصرهم وفي بعض البلاد لما اتخذ المذهب وعجز طلاب الرئاسة عن الاستتباع وضعوا أموراً فأضلوا بوجوب المخالفة فيها والتعصب بها كالعلم الأسود والعلم الأحمر فقال قوم الحق الأسود وقال آخرون لا بل

---

(1) م: فلهذى.

(2) طبع سنة 1327 ولا يحضرني الآن.

(3) م: هذى.

(4) م: أحدها.

(5) م: غوايل.

الأحمر وانتظم مقصود الرؤساء[1] في استتباع العوام وظن العوام بذلك الغدر من المحالفة إن ذلك منهم وعرفت الرؤساء[2] الواضعون غرضهم في الوضع. والمذهب الثاني ما ينطق به في الإرشاد والتعليم لمن جاء مستفيداً مسترشداً وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناطق كل مسترشد بما يحتمل فهمه فإن وقع مسترشد تركي أو هندي أو رجل بليد جلد الطبع وعلم أنه لو ذكر له أن الله ليس في مكان، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا بذي جارحه ولا متصلاً بالعلم ولا منفصل عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله ويكذب له فينبغي له أن تقرر عنده أن الله تعالى على العرش وأنه ترضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضاً وجزاء وإن أحتمل ما يذكر له بما هو الحق المبين يكشف له فالمذهب بهذا الاعتبار ينقسم ويختلف ويكون مع كل واحد على حسبما يحتمله فهمه والمذهب الثالث ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله تعالى ولا يطلع عليه غير الله ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما إطلع أو بلغ رتبه تقبل الاطلاع ويفهمه وذلك بأن يكون المسترشد ذكياً ولم يكن قد رسخ في قلبه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولا يكون فيه قد انصبغ قلبه انصباغاً لا يمكن محوه عنه ويكون مثله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم تمكن إزالته إلا بحرق الكاغد وخرقه فهذا رجل فسد مزاجه ويئس عن إصلاحه فإن كل ما يذكر على خلاف ما سمعه لا ينفعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال في دفعه فلو أصغى[3] غاية الإصغاء[4] وإنصرفت همته إلى الفهم لكان يشك في فهمه فكيف إذا كان غرضه أن يدفعه وأن لا يفهمه فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ما هو عليه فليس هو أول أعمى هلك بضلاله فهذا طريق فريق من الناس وأما الفريق الثاني وهم الأكثرون فيقولون[5] أن المذهب واحد وهو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليماً وإرشاداً مع

(1) م: الروسا.
(2) م: الروسا.
(3) م: صغى.
(4) م: الأصغى.
(5) م: يقولون.

كل آدمي كيف ما اختلف به حاله وهو الذي يتعصب له وهو أما مذهب الأشعري أو المعتزلي أو الكرّامي أو مذهب من مذاهب الأولين[1] يوافقون على أنهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجزم بذكره أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد وهذا يبطل تعينك بالسؤال عن المذهب إن كنت عاقلاً وإن الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد.

ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم ومعلمهم وأهل بلدهم ولو ذكر ذاكر مذهبه فما منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد معجزة يترجح بها جانبه فجانب الالتفات إلى المذاهب وأطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائداً[2] يرشدك إلى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال[3]:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به[4]   في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث[5] لثبوت الطلب فناهيك به نفعاً إذ الشكوك هي الموصلة للحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال نعوذ بالله منه والسلام انتهى كلام الغزالي نفع الله به ورضي عنه.

فإذا عرفت معنى[6] ما أشار إليه الشيخ من افتراق المذاهب وتعصب أربابها بان لك أن كلاً يدعي الصواب معه ولا في زماننا بعد نبينا نبياً يرفع الخلاف بين أرباب المذاهب إلا نزول عيسى بن مريم في آخر الزمان فلهذا صار لكل مذهب شعائر يعرفون بها كقول أرباب المذاهب الأربعة في سنيَّة التثويب في قولهم الصلاة خير من النوم في أذان صلاة الصبح قال ابن الأثير في كتابه «النهاية» في باب حرف الثاء مع الواو قال[7]. وفيه حديث بلال أمرني رسول الله ﷺ إن لا

---

(1) م: الألون.

(2) م: قايداً.

(3) من شعر للمتنبي مشهور.

(4) بيت من لامية الطغرائي.

(5) م: المورث.

(6) م: معنا.

(7) ابن الأثير: النهاية 1:227.

أثوب في شيء من الصلوات[1] إلا في صلاة الفجر وهو قوله: «الصلاة خير من النوم» مرتين قال: فإن المؤذن إذا قال حيٌّ[2] على الصلاة فقد دعاهم إليها فإذا قال بعده الصلاة خير من النوم فقد رجع إلى كلام معناه المبادرة إليها فصار التثويب إليها سنة حيث أمر به النبي ﷺ بلالاً وعند غيرهم من المذاهب يقول حيٌّ[2] على خير العمل في جميع الآذان ولم نرو ذلك في تواريخ السير وغيرها من الكتب المعتبرة في ذلك فصارت هذه اللفظة التي هي «خير العمل» بدعة عند من يقول الصلاة[3] خير من النوم لأنها [من] شعائر[4] أهل السنة وكذلك إذا ذكر أحد من الصحابة والمشايخ والصالحين يقال رضي الله عنه إلا سيدنا علي يقال له رضي الله عنه وكرّم وجهه لأنه لم يسجد لصنم ولا ركع دخل عليّ الإسلام في حال الصبا ويقال: نفع الله بهم للتبرك وآتينا بهذا الكلام وما نقلناه عن الغزالي في شأن المذاهب وأربابها وكل يدعي الصواب معه، كما قال القائل:

وكـل يـدعي[5] وصـل لليلى[6]   وليلى لا تـقـر لهـم بـذاك

وقال الله تعالى: «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك»[7] الآية مع أن الإسلام والإيمان متصفون به وإنما يقع اختلافهم في اللفظ دون المعنى كما قيل شعراً:

لقد ظهرت فلا تخفى[8] على أحد   إلا على أكمه لا يعرف القمرا
ثم استترت عن الأكوان يا أحد   فكيف يعرف من بالعزة استترا

---

(1) م: الصلات.
(2) م: حيا.
(3) م: الصلات.
(4) م: اشعاير.
(5) الأصل: وكل يدعون وصال ليلى. والإصلاح من عندنا.
(6) م: وصال ليلى.
(7) الآية: 118 سورة هود.
(8) م: تخفا.

وكما قال الآخر:

إذا قالت حذام فصدّقوها   فإن القول ما قالت حذام[1]

وإنما ذكرنا الإسلام والإيمان لأنهما شاملان لمن صلى إلى قبلتنا كما قيل لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة وفي «نهاية» ابن الأثير في باب حرف الهمزة مع الخاء «مثل المؤمن والإيمان كمثل فرس في آخيتيه»[2] قال الآخية بالمد والتشديد حبيل[3] أو عويد يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطة[4] كالعروة وتشد فيه الدابة وجمعها الأواخي مشدداً الأخايا على غير قياس قال ومعنى الحديث أنه يبعد بالذنوب عن ربه واصل إيمانه ثابت انتهى.

فلنرجع إلى ذكر الإمام الشهير الحسين بن محمد المذكور الحسيني الذي بيَّنا سبب سيرتنا على ما كتب به إلينا بما ذكره الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وكل ما ذكره أحد الأئمة[5] قال عليه السلام ثم استعذر إلينا في كتابه قال ثم وقع في نفسي لا يكاد بعض من قرأ الكتاب يعترض علينا في قولنا سابقاً عليه السلام فإن الباري سبحانه خص آل محمد السلام بنص القرآن لقوله تعالى سلامٌ على آل يَـس وكذلك الصلاة على من صلى عليه في كل أمّة فالدليل واضح بالتبعية كقولك اللهم صلِّ[6] على محمد وآل محمد قال وأما أنتم فعلمكم محيط بذلك وقوله في حقنا علمكم محيط بذلك لحسن ظنه بنا جزاه الله عنا بذلك خيراً في الدنيا والآخرة وأنا أعلم من نفسي العجز بإحاطتي ما جاء به الشارع بما تعبّد به الأمة في أقواله وأفعاله وأخلاقه وحركاته وسكناته وغير ذلك وما يتعبد عليه الصحابة رضي الله عنهم وكذلك التابعون وتابع التابعين إلى زماننا هذا[7]

(1) شاهد نحوي فيما ورد على «فعالِ» من الأعلام بكسر الآخر.
(2) النهاية في غريب الحديث 29:1.
(3) م: جيل.
(4) م: وصطه.
(5) م: كذا.
(6) م: صلى.
(7) م: هذى.

فتمسكوا من أقواله وأفعاله عند أرباب المذاهب الأربعة[1] إذا ذكر أحدٌ من الصحاب والأئمة[2] يقال في حقهم رضي الله عنهم كما تقدم ذكره قريباً. وعند غيرهم من المذاهب يقال عند ذكر المذكورين عليهم السلام فصار عند من يقول رضي الله عنهم البدل وهو عليهم السلام غير الأنبياء يُكره. وإنما تختص بالأنبياء كالصلاة عليهم، وكالتسبيح لله تبارك وتعالى خاص به وأما بالتبعية للأنبياء فإنها جائزة بقولك: اللهم صلى على محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذريته وغير ذلك بالتبعية أما الانفراد بالسلام على غير الأنبياء صارت مكروهة عند أرباب المذاهب الأربعة. ويقال أنها تختص بالأموات. وذكر النووي في كتابه «الاذكار»[3] سبب الكراهة لذلك ولم يحضر الكتاب عند كتابتنا هذه السيرة وإنها شعائر[4] لمن خالف وقول الأمير الحسين بن محمد المذكور فالدليل واضح في نصّ القرآن لقوله تعالى: «سلام على آل ياسين»[5] وذكر الأمير أن علمنا محيط بذلك، أعلم أنا تتبعنا مظان[6] ذلك من الكتب المعتبرة منها مما ذكره السمهودي في كتاب «جواهر[7] العقدين في فضل الشرفين» يشرف العلم الجليّ والنسب العليّ قال: سلام الله تعالى على آل نسبه ﷺ نقل جماعة «من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: «سلام على آل ياسين»[8] سلام على آل محمـــد ﷺ ونقله النقـاش عن الكلبي فقـــال: «على آل يـاسين» على آل محمد ﷺ سمّاه الله تعالى: «يٓس» يقال يعقوب وإسرائيل وأحمد ومحمد قال

---

(1) م: الا اربعة.

(2) م: الأيمة.

(3) الأذكار.

(4) م: شعاير.

(5) الآية: 130 سورة الصافات.

(6) م: المضان.

(7) انظر الفصل الثاني من جواهر العقد من القسم الثاني ص: 47. وهو محذوف من الطبعة العراقية فلم نقف عليه.

(8) الآية.

الكلبيّ: وإذا سلم على آله من أجله كان سلاماً عليه ﷺ وهو[1] ﷺ داخل في جملتهم. كما هو أحد الاستعمالات في مثله فيكون «السلام عليه» و«عليهم» كما في صلاته صلى ﷺ على آل أبي أوفى انتهى والمراد من كلام الأمير الحسين في أن «آل ياسين» هم آل محمّد ثم قال السمهودي بعد كل أمة المتقدم: وقيل المراد إلياس عليه السلام وهو مقتضى السياق كما أوضحه السهيليّ [2] والقراءة الأخرى «سلام على آل ياسين» بكسرة الهمزة وبسكون اللام والأكثر على أن المراد منها إلياس ـ عليه السلام ـ قال: قلتُ وهنا تنبيهان: أحدهما من مهمات الأسئلة أن السلام على ما قررناه في كتابنا[3] «طيب الكلام في فوائد[4] السلام» لفظه خبر ومعناه طلب السلامة للمسلَّم عليه، والدعاء بها في أشهر الأقوال فكيف يتصور ذلك في سلامه تعالى على أنبيائه وأصفيائه؟ إذ الطلب والدعاء[5] يستدعي مطلوباً منه ومرغوباً إليه كما أنه يستدعي طالباً أو راغباً ولذلك قال ابن بنون: إذا ورد «سلام الله على عباده» فهو بشارة بالسلامة. لاستحالة أن يكون هناك مدعو يرغب الباري إليه تعالى في إيصال ذلك وقد بيّنا ما فيه في كتابنا المذكور والتحقيق في الجواب أن سلامه تعالى يرجع إلى كلامه النفسي الأزليّ ولذلك قال ابن عطاء في قوله: «وسلام على عباده الذين اصطفى»[6] من سلم الله عليه في أزله سلم من المكاره في أبده وقرأ هذه الآية وبكى[7] وقال سبحان الله اصطفاهم لمعرفته وسلم عليهم قبل معرفته. انتهى قال: وحينئذ فلا يستحيل أن يضمن[8] سلامه تعالى الطلب من نفسه

---

(1) م: أصلي.

(2) أنظر التعريف والإعلام للسهيلي: 111 ط مصر سنة 1356 هـ.

(3) من مؤلفات السمهوري انظر هدية العارفين 740:1.

(4) م: فوايد.

(5) م: والدعا.

(6) الآية.

(7) م: وبكا.

(8) م: يتطمن.

لإنالة[1] السلامة الكاملة لمن سلم عليه من عباده وهو طلب نفسي مقتضى[2] لتعلق الإرادة به وإنما الطلب مطلوباً منه إذا كان الطلب من غيره بخلاف الطلب من نفسه. والطلب من النفس معقول يعلمه كل واحد من نفسه. فالحاصل أنه تعالى طلب لهم من نفسه إنالتهم السلامة الكاملة. فيتعلق ذلك بهم في الوقت الذي أراد الله تعالى تخصيصهم به كما في أمره ونهيه المتعلقين به مع عدم الأمر والنهي فيترتب على ذلك أثره فيحيط بالمسلم عليهم عند توجيه سلامه عليهم وتعليقه بهم من السلامة والأمن والأنس والحب ما لا يعلم حقيقته إلا معطيه ومُوليه عز وجل فيثير ذلك لهم الأحوال الصادقة ويثمر مزيد الحب والأنس ومزيد العرفان والتشريف والتكريم والتعظيم وقد جاء في قوله تعالى: «سلام قولاً من رب رحيم»[3] إنه سلام «يكون من الله عزّ وجلّ في الجنة على أهلها، قال: فالحاصل في معناه أنه إذا أراد الله تعالى إظهار كراماتهم وتعظيمهم وجّه إليهم ذلك القول القديم أو سمعهم إياه بواسطة أو بغير واسطة على ما تقرر عند الأشعري من جواز الكلام النفسيّ من غير حرف ولا صوت كما جازت رؤيته عز وجل مع تنزيهه عن الجهة الجسمية فيترتب على ذلك، الآثار المتقدمة حتى تحصل الغيبة عما سواه ولا يعتد من النعيم ما عداه. وثانيهما: قال الإمام فخر الدين الرازيّ ـ رحمه الله: جعل الله تعالى أهل بيت النبي ﷺ مسايرين له في خمسة أشياء: أحدها في السلام قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وقال لأهل بيته سلام على آل ياسين. والثاني: في الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله كما في التشهُّد. والثالث في الطهارة قال الله تعالى: «طه»[4] الآية أي يا طاهر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. وقال لأهل بيته: «ويطهركم تطهيرا». والرابع: تحريم الصدقة قال ﷺ: لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد والخامس: المحبة قال الله تعالى: فاتبعوني وقال لأهل بيته: ﴿قل لا

---

(1) م: لا نالت.

(2) م: مقتضي.

(3) الآية.

(4) الآية.

أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1] انتهى كلام فخر الدين الرازي. قال الإمام السمهودي: قلت: ومن تأمل ما سبق وما سيأتي في كتابنا هذا يعني في «جواهر العقدين»[2] اتضح له المساواة في أمور كثيرة غير ذلك، والله أعلم انتهت الخاتمة بسبب رحلتنا إلى آخر الخاتمة والله تعالى يجعلها خالصة لوجهه الكريم تبارك وتعالى وإنما دوّناها لغلبة الظن بأني عجزت عن الرجوع إلى أوطاني لكبر سنّي وقلة طاقتي كما قيل شعراً: [من الكامل]

كيف الوصال إلى سعاد ودونها قلل الجبالَ ودونهن حتوف
الرجل حافيةٌ ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف

وقال الآخر شعراً: [من الكامل]

لألفينك ثاوياً في غربة أن الغريب بكل سهم يرشَقُ

وذكر الدميري في «حياة[3] الحيوان» الوسطى في باب حرف الثاء، إلى أن قال في حكاية عبد الله بن جدعان فرأى[4] شقاً في جبل فظن أن فيه حية فتعرض للشق فدخله فإذا فيه ثعبان، عظيم له عينان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فتقدّم[5] له، فانساب عليه مستديراً ثم خطا خطوة أخرى[6] فظفر به الثعبان فأقبل عليه كالسهم فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت، فإذا جثثٌ طوال على سرير وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم رجال ملوك من أجلّة جرُهم وتحته مكتوب[7]:

قد قطعت البلاد في طلب الثر وة والمجد قالص الأثواب

---

(1) الآية: 23 سورة الشورى.

(2) حياة الحيوان 171:1.

(3) م: فراه.

(4) م: اخرا.

(5) حياة الحيوان: فأفرج.

(6) م: وقوت.

(7) الأبيات في حياة الحيوان 172:1.

وسـريت البلاد قفرا قفـر   بـقنـاة وقـوة واكـتسـاب
فأصاب الردى[1] نياط فؤادي   بسهـام من المنايـا صباب
فانقضت مدّتي وأقصر جهلي   واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما   نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براع   رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وإذا في وسط[2] البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ[3] والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم أعلم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف قال نبينا ﷺ: كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة[4]: يا رسول الله إنه كان يطعم الطعام ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك؟ قال: لا لأنه لم يقل يوماً ربِّ اغفر لي خطيئتي[5] يوم الدين انتهى المقصود، والشيء بالشيء يذكر حتى إنجر الكلام إلى اللوح الذي فيه الكلام والأبيات المذكورة. والإملاء من السيد العالم الكامل الورع الزاهد يوسف بن عابد الحسني ثم الإدريسي عرف في أرض حضرموت بالفاسي نفع الله به وأعاد علينا من بركاته وأسراره في الدنيا والآخرة آمين.

(1) م: الردا.
(2) م: وصط.
(3) م: اللول.
(4) م: عايشة.
(5) م: خطيتي.

فهرس الأماكن والقبائل

فهرس الأعلام

Préface

Ce texte, que nous avons établi en cette édition, est un voyage au d'un voyageur magrebin nommé al - sarif yousuf Bin A(اليمن السعيد) yemen ébid Bin Mohammad bin au mar al - HUSUYNI al - Maigrib.

Il est né au Fez en 970 de L'hégire, et mort en 1048. Mais nous igniorons la date dans laquelle L'auteur a était commencé voyage.

Nous n'avons pas beaucoup de renseignement é indiquer pour nos lecteurs en ce qui concerne la vie de l'auteur. Mais il nous parait qu'il est un homme de lettres et savant en theologie de l'salam.

Il nous Foudrait de dire que ce voyageur a pris son place parmi ses compatriots magrelins qui avaient achévé de travaux magnifiques dance domaine de voyages.

Les lecteurs seront centent lorsqu'il obtiennemet des renseignement histories et littérraires.

En Fin, il faudrait indiquer que la base de cette édition est un manucrit unique que nous avons trouvé chez le petit fils de l'auteur é Hadramot dans le sud de yeman.

al - Samarraī et al - Ḥibšī

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون البناية : **340131/2** تلفون مباشر : 350331 ص. ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1993 - 1 - 2000 - 234
التنضيد	:	كومبيوتايب – بيروت
الطباعة	:	دار صادر – بيروت

Dar al-Gharb al-Islami
Boite Postale 113/5787
Beyrouth-Liban

RAḤLAT IBN ʿĀBID AL-FĀSĪ

MIN AL-MAĠHREB ILA ḤAḌRAMŪT

PAR

YŪSUF BIN ʿĀBID BIN MOHAMMAD

TEXTES ETABLI PAR

IBRAHĪM AS-SĀMRĀ'I et ʿABD ALLAH AL-ḤABASHI

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

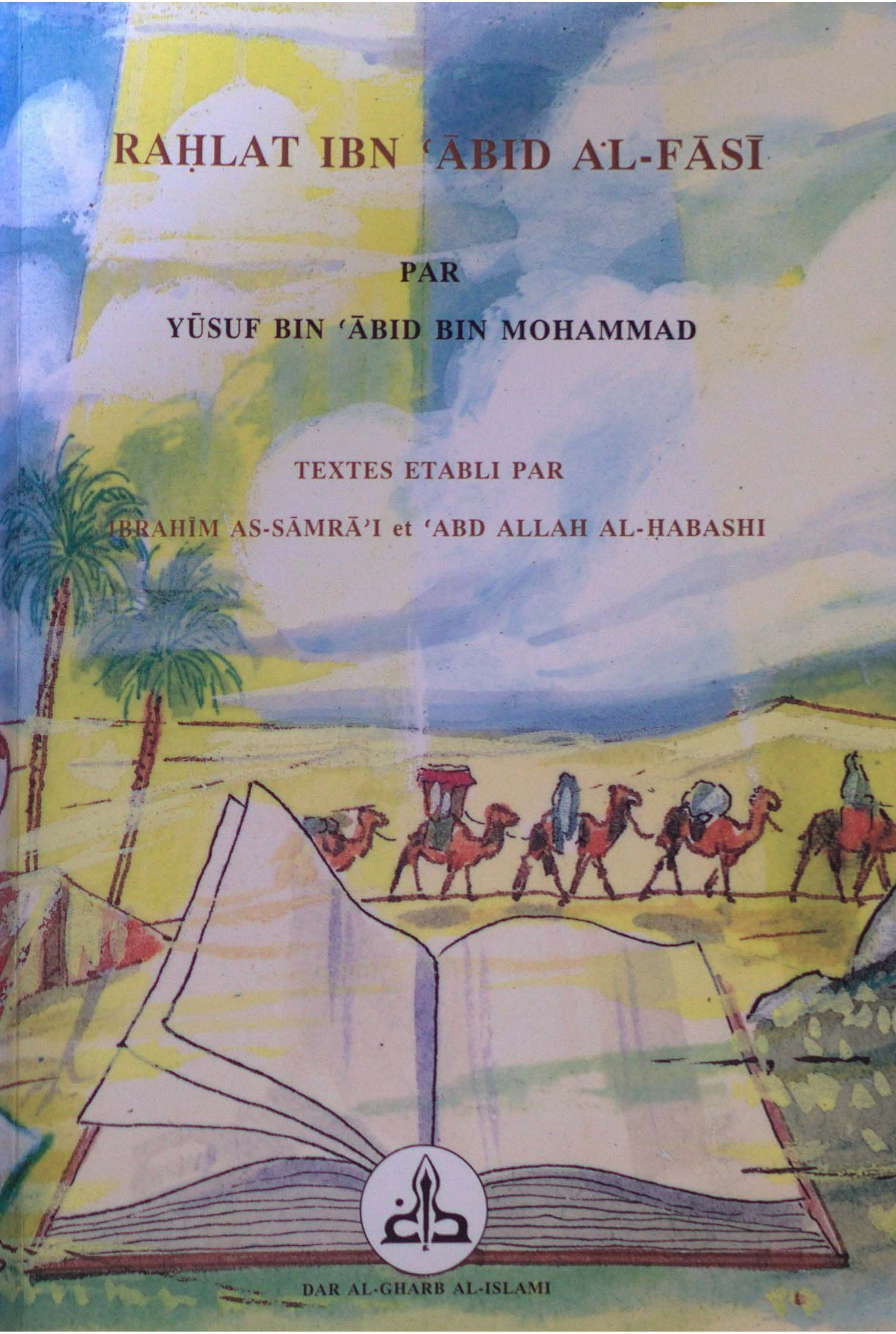
RAḤLAT IBN ʻĀBID AL-FĀSĪ

PAR

YŪSUF BIN ʻĀBID BIN MOHAMMAD

TEXTES ETABLI PAR

IBRAHĪM AS-SĀMRĀʼI et ʻABD ALLAH AL-ḤABASHI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI